

إهداء

أهدى هذا العمل :

إلى القلة المؤمنة التى تحمل مشاعل الدعوة فى دياجير الضلال الذى يحيط بعالم القرن الخامس عشر الهجرى، برهانا ناصعا على صدق ما اهدوا إليه، يثبت اليقين، ويشد الأزر، ويفحم الباطل وأهله.

إلى السواد الأعظم من المسلمين بالوراثة والتقليد، وببطاقة الهوية: الذين اتخذوا القرآن مهجورا، كمثّل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها، عليهم يكتشفون ما يأيديهم من كنز: كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إلى جمهرة المنافقين والملاحدة أصحاب الصوت الأعلى فى هذا الزمان الذين إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة، والذين يتنادون بأن لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه سعيًا وراء فتنة المؤمنين والمؤمنات، وإطفاء نور الله الذى وعد بإتمامه ولو كره الكافرون، عليهم يثوبون إلى الرشء ويتوبون إلى الحق.

إلى غير هؤلاء وأولئك على امتداد المعمورة، الذين لم يتح لهم أن يطلعوا على حقيقة الإسلام- فكرا منطقيا أو نموذجًا حيا- إلا من خلال إعلام مزيف وتعليم منحرف وآراء مغرضة لقيادات فكرية وعقيدية نصبت أنفسها أربابا من دون الله، عليهم ينصتون يوما بعقل مفتوح وصدر رحب وفكر علمى هادى إلى دعوة الإسلام، عساها تكون لهم فرقانا بين ظلام الجاهلية ونور الهدى.

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى (البرهان العلمى للإسلام)

١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م

الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م



دار النشر للجامعات

١٦ ش عدلى - ص . ب ١٣٠ محمد فريد - القاهرة

٣٩٣١٤٣٤ - تليفاكس: ٣٩١٢٢٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم للأستاذ الدكتور صلاح الصاوي
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد،

فإن الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم حديث عن جانب متجدد من جوانب الإعجاز في هذا الكتاب المبارك الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، والذي أراد الله له أن يكون كتابه الأخير، وأن يحمل وحيه المحكم الذي تقوم به الحجة على عباده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وينطفىء سراج الحياة! لقد تعرفت البشرية على مدار القرون على جوانب مختلفة من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم غطت حاجات الناس في زمانها، وكان فيها من البينات ما تقام بمثله الحجة وتنقطع به الشبهة، حتى كان هذا العصر الذي يمكن أن يطلق عليه عصر الكشف العلمية ففاض المعين القرآني بهذا الجانب المشرق المتجدد من جوانب الإعجاز لتقام الحجة على أبناء هذا العصر بمثل ما أقيمت به الحجة على أبناء القرون الأولى.

لقد قبل عقلاء العالم ومفكروه بالعلم حكماً عدلاً، لا يجامل أحداً، ولا تنحاز سننه إلى فريق من الناس دون فريق، فأثار الله بصائر فريق من أهل العلم ليتعرفوا من خلال تدبر آيات هذا الكتاب على حقائق ودقائق ما كان لأحد من الناس أن يتعرف على شيء منها في زمن النبوة فمن ذا الذي أبلغ محمداً ﷺ بها وهو النبي الأمي الذي لا يكتب ولا يحسب، والذي كان يقول: الشهر هكذا وهكذا وهكذا؟!!

ولقد رأينا عبر مسيرة البحث والتطواف في هذا المجال كيف فتح الله به أعينا عمياً، وأذانا صماً، وقلوباً غلفاً، وكيف كان أكابر العلماء من غير المسلمين يتطامنون أمام حقائق الإعجاز المذهلة في هذا الكتاب! ولا أزال أذكر كلمة لمدير مرصد طوكيو في اليابان بعد حوار معه لم يزد على ساعة من الزمان قال فيها: إذا كان جميع المسلمين يفكرون بهذا المستوى فإنني أتوقع لهم أن يستردوا زمام الحضارة الإنسانية

في أقاليم من عشرين سنة!!

ولا يخفى أن الناس أمام قضية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة طرفان وواسطة:

* فمنهم من فتح هذا الباب على مصراعيه بغير ضوابط، فلوى أعناق النصوص، لاهثاً وراء كل جديد من العلم، ليفتعل إعجازاً، أو يتكلف برهاناً.

* ومنهم من أغلق هذا الباب بالكلية، وصادر على أهل العلم حقهم في ارتياد هذه الآفاق الجديدة، ففوت عليهم وعلى الدعاة كافة الاستفادة من هذا الجانب العملاق والخلق من جوانب الإعجاز.

* وبين هؤلاء وهؤلاء يقف أهل الوسطية والاعتدال، فيحكمون الضوابط التي تعصم من الزلل وتمنع من الشطط، ويفتحون عقولهم وقلوبهم لكل اجتهاد جاد في هذا المجال فيناقشون ويقبلون أو يرفضون من خلال هذه الضوابط الدقيقة الصارمة؛ التي قدمت بها ورقة إلى المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة المنعقد في إسلام آباد بباكستان سنة ١٩٨٧ م، والتي قدم لها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر، والتي تقرر فيما تقرر قيام الإعجاز على ثلاثة أركان: الحقيقة الشرعية: وذلك ببلورة الجانب الشرعي وتمحيصه مع أكابر أهل العلم للتأكد من أننا أمام حقيقة شرعية.

الحقيقة الكونية: وذلك ببلورة الجانب العلمي للتحقق من أننا أمام حقيقة كونية وليس مجرد نظرية من النظريات قابلة للتغيير والتبديل.

وجه الإعجاز: وهو الربط ما بين الجانبين وفقاً لضوابط الفهم والاجتهاد المقررة عند علماء الأصول.

وكتابتنا هذا الذي نشرف بتقديمه اليوم والذي حبس نفسه على إعداد الأستاذ الدكتور / نبيل عبد السلام هارون إنما هو محاولة جادة لاستقراء النصوص القرآنية التي تتضمن بعض الإشارات والدقائق العلمية، وهو بهذا يفتح آفاقاً أمام الباحثين لتدبر هذه الآيات والتعرف على ما تحمله من دقائق الإشارات.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

دكتور صلاح الصاوي

المدير الأسبق لهيئة الإعجاز العلمي

للقرآن والسنة - بمكة المكرمة

بالقرآن إشارات وتعبيرات فى غاية الدقة، وكذلك تنبؤات بما هو آت، تتجاوز قدرة البشر وقت التنزيل وبعده بقرون، مما يقطع باستحالة صدورها عن مخلوق، وتبرهن على أن مصدرها خالق الكون العليم، القيوم عليه من الأزل إلى الأبد، ولاريب أن بين طيات القرآن مزيدا من عبارات لانفقه بعد مغزاها العلمى الحق، سيكشف تقدم العلم « كما كشف من قبل » ماوراءها من براهين تزداد بها الأجيال يقينا.

فى الفصول التالية نتناول بعضاً مما قرره القرآن أو أشار إليه من حقائق علمية وتاريخية - غمض كنهها عند نزول القرآن وبعده بقرون - ثم كشفها وأثبت صدقها تقدم العلم ووقائع التاريخ، لنبرهن بها على صدق تنزيل القرآن وبعثة الهادى الأمين. تستمد الدراسة من معظم ماكتب عن المعارف العلمية فى القرآن والسنة، بعد مراجعة ماجاء بهذه الدراسات على أقوال المفسرين فى الماضى والحاضر، وتحقيق الجوانب العلمية، وبحث المعانى اللغوية، للاقتصار على تلك الجوانب التى ينطبق فيها المعنى اللغوى المباشر والتفسير المقبول للآية فى موضعها بالسورة على الحقائق العلمية التى استقرت بالملاحظة والتجريب وإجماع أهل الاختصاص العلمى واستبعاد كل ماعدا ذلك من اجتهادات، وقد ذيلنا الدراسة ببيان مراجع التحقيق، والمصادر التى تناولت موضوعات الدراسة من زوايا مختلفة وبمناهج ورؤى متباينة.

جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وثبتنا وأهل الإيمان بالقول الثابت فى الحياة الدنيا بمواجهة أهل الكفر والضلال، ويوم يقوم الحساب، اللهم آمين.

نبيل عبد السلام هارون

٢٨ ربيع الأول ١٤١٧هـ

١٢ أغسطس ١٩٩٦ م

تمهيد

المنهج العلمي والعقلي للرسالة

الإسلام خاتم الرسالات التي أرسلها الله تعالى هداية للعقل البشري المحدود، فما من أمة سبقت على امتداد الزمان والمكان إلا كان لها من هداية الأنبياء والرسول نصيب، ولقد تدرجت وسيلة الإقناع وأسلوب الدعوة مع تطور المدارك والمعارف البشرية؛ فكان الله تعالى يؤيد رسله الكرام بما يجريه على أيديهم - بإذنه - من معجزات وخوارق حسية، يلمسها الناس بأيديهم وتراها أعينهم حتى يطمئنوا ويخبتوا لدعوة الحق، حتى آن للبشرية أن تدرك بالعقل الناضج والفكر المستنير ما كانت لا تدركه من قبل إلا بالحس والبصر، فأنزل الله كتابه العزيز: القرآن الكريم؛ متمما ومهيما على كل ما سبقه من كتب ورسالات، كتاب حجة وإقناع، ختمت به الرسالات، ثم صدق الله وعده في حفظه - دون سائر الكتب - نبراسا هاديا إلى آخر الزمان، ومعجزة حية لكل الأجيال.

ت / ١ الإقناع العقلي:

العقل إذن هو محور الدعوة إلى الإسلام، وهو نسيج القرآن الذي بدأ تنزيله بدعوة ﴿اقرأ﴾، هتف بها الروح الأمين على النبي «الأمي»، حتى أذن الله باكتمال التنزيل وإتمام الرسالة في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وتعالوا نقتطف من رياض الذكر الحكيم آيات ناصعات تبين أن الإقناع العقلي والتفكير المنطقي ونبذ الهوى هو أساس دعوة الإسلام.

أ - ففي الحث على التفكير وإعمال العقل للاهتمام إلى الحق قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

[الرعد: ١٩].

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشَىٰ وَقَرَّادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥].

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨].

ب - وفي الجدل بالحجة والبرهان اقرأ هذه الآيات:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ . وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٥، ٣٦].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا . قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَبْتَغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤١، ٤٢].

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

﴿أَمِنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا

برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [النمل: ٦٤].

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ . أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٤، ٣٥].

ج - وفي ضرب الأمثال كمدخل إلى الإقناع جاءت هذه الآيات:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ . يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٧].

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٧ - ٢٩].

د - وفي الحث على التأمل في خلق الله وحكمته:

﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا

تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿[الحج: ٤٦].

﴿وَكَايْنٍ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠].
﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٨].

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].
﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨١، ٨٢].

هـ - وفي الدعوة إلى النظر في القرآن وتدبر آياته:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدَ﴾ [ق: ٤٥].

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣].

و - وأخيرا في شأن من صموا أذانهم وعطلوا عقولهم فضلوا السبيل، وجادلوا بالباطل:

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ . وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ [يونس: ٤٢، ٤٣].

﴿وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمٌّ بِكُمُ عَمِيَ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا . أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاءً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحج: ٢٣].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨].

ت / ٢ تحرير العقل:

العقل المخاطب بالدعوة هو العقل «الحر» الذي يوازن بين الحق والباطل، بين الصدق والزيف، متحررا من كل المؤثرات النفسية والاجتماعية والعاطفية، التي كانت ومازالت تستعبد البشر وتلغى عقولهم في كثير من المجتمعات والعقائد، فالإسلام ليس انتماء أعمى، وانقيادا مستكينا إلى طائفة أو كهنوت، أو جنس أو قبيلة، بل يؤكد ويلج على رفض الاتباع المنقاد للآباء والأجداد وكهنة الأديان، وأهل الاستبداد، كما تنطق الآيات الآتية:

أ - في الدعوة إلى استقلال الفكر وتحريره:

﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ . وَقَالَ

الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ كِبَرًا مِّمَّنْ تَدْعُوا إِلَهُكُمْ إِلَّا أُولَئِكَ يَنْهَوْنَ عَنْكُمْ وَيَقُولُونَ كَتَبْنَا بِالْإِنشَاءِ فِي الْقُرْآنِ عَذَابَ الْكَافِرِينَ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

ب - وفي التحذير من تبعية الفكر لأهواء الزعماء والكبراء:

﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنَ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٦، ٩٧].

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩].

ج - وفي النهي عن الاتباع الأعمى للآباء والأجداد دون تمحيص واقتناع:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤، ١٠٥].

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ . وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ

[الزخرف: ٢٢، ٢٣].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [سبأ: ٤٣].

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣].

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٧٨].

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢].

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ . قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٥١ - ٥٤].

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَاكِفِينَ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧١ - ٧٤].

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ
نَصِيْبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩].

﴿إِنَّهُمْ أَلَفُوا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ٦٩، ٧٠].

ت / ٣- مكانة العلماء والعلماء:

ميز الله الإنسان على غيره من المخلوقات بالعلم، وبالقدرات العقلية على اكتسابه وتطبيقه، ومنها القدرة على الملاحظة والوصف والتحليل والتركيب والاستنتاج، وهذا مانوه به القرآن: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].

أ - والدعوة إلى العلم واكتساب المعارف العلمية تنبث في أرجاء الكتاب العزيز، ومنها هذه الآيات المباركات:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥].

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ . وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمُنَا مِنْطَقُ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٥، ١٦].

ب - وفي فضل العلماء ومكانتهم عند الله:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢].

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبا: ٦].

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

ت / ٤ السنن العلمية والكونية:

أساس العلم الحق أن الكون لم يخلق عبثًا، وأن لكل شئ سببًا، وأن كل الظواهر الطبيعية ونظم الحياة وسلوك الجوامد وأحوال الأمم تخضع جميعها لقوانين صارمة وضعها الخالق العليم، وهو ماتؤكدده آيات القرآن التي نزلت منذ أربعة عشر قرنًا في

أ - ففى أن لكل شىء سبباً قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٦] .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ . مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الدخان : ٣٨ ، ٣٩] .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص : ٢٧] .

ب - وفى أن كل ما فى الكون تحكمه قواعد وقوانين لا يحيد عنها (وانظر أيضاً الفصل الأول) :

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه : ٥٠] .

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ [الأعلى : ٢ ، ٣] .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا . ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٤٥ ، ٤٦] .

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢] .

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] .

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى : ٢٧] .

﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [الرحمن : ٥] .

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن : ٧] .

ج - وفى سنن التاريخ التى لا تتبدل :

﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١] .

﴿ سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٧] .

﴿ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٢] .

﴿ سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفتح : ٢٣] .

﴿ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر : ٤٣] .

ت / ٥ نبذ الخرافة :

وحفل القرآن والسنة النبوية بأقوال ومواقف تنبذ الخرافة وترفض الفكر الذى لا يستند إلى العلم والمنطق والدليل ، فإيمان المسلم لا يستند إلى قصص وأساطير ، أو طلاسهم يحتكرها كهان ، بل هو هو الحجة والدليل والبرهان .

أ - ففى بيان ما انزلت إليه جماعات فى تصور الله الواحد قال تعالى :

﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونِنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴾ [الأعراف : ٧١] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ ﴾ [النحل : ٥١] .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿ [النساء: ١٧١] .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣] .

ب - وفي جهالة من ينسبون إليه تعالى البنين والبنات :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ [البقرة: ١١٦] .

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ . وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الصفافات: ١٥١] ، [١٥٢] .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠] .

ج - وفي عبادة غير الله :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [الحج: ٧١] .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٥] .

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٣] .

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢] .

د - وفي عبادة الجن والملائكة :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا

يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٠] .

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [الصفافات: ١٥٨] .

﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ . وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩، ٢٠] .

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ . أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ . وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [الصفافات: ١٤٩ - ١٥٤] .

﴿ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ . وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [الزخرف: ١٦، ١٧] .

هـ - وفي تأليه البشر :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَأِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] .

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦] .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٧] .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

و - وفي اتخاذ الأوثان:

﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ . أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه: ٨٨، ٨٩].

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ . وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨، ١٤٩].

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ . أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ . إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٣].

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْنَتُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

ز - وفي الدعاء والتوسل بغير الله:

﴿ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ . يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ [الحج: ١٢، ١٣].

﴿ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَبْتَغُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣].

﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦].

ح - وفي الاعتقاد بالسحر والتطير:

﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢، ١٠٣].

﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣١].

- وفي الحديث: أن الشمس انكسفت عقب موت إبراهيم وليد النبي عليه الصلاة والسلام فقال ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ أَوْ حَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَصَلُّوا» (البخارى).

- وفي الحديث أيضا قوله ﷺ: «لَا عُدْوَى وَلَا طَيْرَةٌ وَلَا هَامَةٌ وَلَا صَفَرٌ...»^(١).
و: «لَا عُدْوَى وَلَا صَفَرٌ وَلَا هَامَةٌ...» (البخارى).

ط - وفي اتباع خيال الشعراء وشطحاتهم (إبداعاتهم!):

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦].

(١) الطيرة: أى التطير والتشاؤم بأشياء أو أشخاص أو أحداث معينة، وهو ضلال فى الفكر والتصور مازال شائعا فى كل المجتمعات المعاصرة. وكذلك التشاؤم بأوقات معينة كصفر أى التشاؤم بشهر صفر. أما الهامة فمن خرافات العرب فى الجاهلية إذ يزعمونها طائرا يخرج من هامة رأس القليل ويقول: اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثأره.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ . وَكَذَلِكَ زَيْنَ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيَرَدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ . وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مِنْ نَشَاءٍ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِمْ سِيَئَازِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ . وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لَذُكُورِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَى أَرْوَاحِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِثْقَلُهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سِجِّزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٦ - ١٤٠].

﴿إِنَّمَا السَّيِّئَةُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ عَمَّا وَبَحَرَمُونَهُ عَمَّا لِيُؤْطُوا عِدَّةً مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧].

ت / ٦ - الإشارات العلمية:

أشار القرآن إشارات عامة إلى مجالات علمية متعددة تنبه الأذهان وتلفت الأنظار إلى مافى الكون من آيات ودلائل وإلى مافى خلق الله من إعجاز فى الصنعة وفى القدرة، وما فى الأرض من خيرات مسخرات لخير الإنسان، لوفقه علمها وأحسن الانتفاع بها. ولما كانت هذه الإشارات محور هذا الكتاب فنكتفى منها فى هذا التمهيد ببعض الأمثلة:

﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

﴿إِنْ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَأْنِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ . وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٨، ٢٩].

﴿إِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الحج: ٣ - ٥].

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢٢].

ب - وفى تتابع الليل والنهار:

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٢].

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص: ٧٢، ٧٣].

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام: ٩٦].

ج - وفي المطر والزراعة والأنعام:

﴿ إِنْ اللَّهُ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ . فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النَّجْمَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٥ - ٩٩].

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [الأنعام: ١٤١، ١٤٢].

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُبْنِي لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٠، ١١].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحج: ٦٣].

﴿ أَمِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِلَهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: ٦٠].

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ . وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ . لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ . سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٣ - ٣٦].

﴿ وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ . وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ . وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ . رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ [ق: ٧ - ١١].

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ . وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٧١ - ٧٣].

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٧، ٨].

د - وفي السفن:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ . إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [الشورى: ٣٢، ٣٣].

﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ . لَيْسَتْ أَعْيُنُهُمْ تَتَوَبَّعُهُمْ نَزَرَهَا ثُمَّ تَدُكُّوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجمانية: ١٢، ١٣].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [غافر: ٨٠].

هـ - وفي طيران الطيور:

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩].

ت / ٧ - بين يدي الكتاب:

قبل أن نغمض في مطالعة الكتاب، وتدبر مافيه من براهين علمية محددة لتكن لنا وقفة تتأمل فيها طبيعة النص القرآني كظاهرة فريدة متميزة في محتواها عن البيئة العربية الجاهلية التي بدأ تنزيله فيها، وسابقة لمعارف ذلك الزمان - القرن السابع الميلادي - فالأسلوب العلمي في العرض والدعوة أعلى فكرياً وأسمى بياناً من قدرات مبلغه الرسول الأمي الأمين، سواء في منهج النص القرآني في مخاطبة العقل والمقارعة بالمنطق وتحرير العقل من التبعية الفكرية للآباء أو الكهان أو المجتمع، أو في نبذ الخرافة، أو في التفسير العلمي لنواميس الكون، أو فيما يتعرض له من مفاهيم وإشارات علمية، أو في توجيهه العقول إلى اكتساب المعارف العلمية كمدخل للإيمان بالخالق الواحد وبصفاته التامة، وصولاً إلى اليقين بصدق تنزيل القرآن.

كل هذه السمات القرآنية تقطع - لكل ذي بصيرة - باستحالة أن تكون هذه الرسالة من صنع بشر أمي في بيئة أمية بدائية، وليست الأمية هنا أمية القراءة والكتابة فحسب - بل أمية المعارف والفكر، تلك الأمية التي سادت الزمان والمكان وقت التنزيل، لا في الجزيرة العربية وحدها، بل في أرجاء الأرض المعمورة ولقرون بعد عديدة.

الفصل الأول

إشارات علمية عامة

١ / ١ قوانين الوجود:

قال تعالى في محكم التنزيل:

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ . وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ . وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٥ - ٧] (١).
﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩] (٢).

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨] (٣).

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] (٤).

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] (٥).

(١) الحسبان: التدبير الدقيق (الوسيط)، والحساب؛ أي بحساب (اللسان)، أي أن حركة الشمس والقمر تجري طبقاً لنظام دقيق منذ خلقهما الله تعالى، ولم تتعرف على دقائق هذا النظام إلا حديثاً، حوالي ٣٠ سنة... بحسابات رياضية في غاية العمق والدقة وخاصة في حالة القمر (المنتخب).
(٢) وزن الشيء: قدره (الوسيط) ومعنى موزون: القدر المعلوم وزنه وقدره عند الله تعالى (اللسان)، أي أن كل نبت... في خلقه دقة وإحكام وتقدير (الظلال)، وتقرر هذه الآية حقيقة علمية لم تعرف إلا بعد الدراسات العملية للنبات، وهي: إن كل صنف من النباتات تتماثل أفراده من الوجهة الظاهرية تماثلاً تاماً، وفي التكوين الداخلي نجد أن التناسق تام والتوازن دقيق في كافة أجهزة النبات المختلفة، وكذلك بين الخلايا (المنتخب).

(٣) كل شيء عند الله بمقدار وحساب صغيراً أو كبيراً (المنتخب).

(٤) القدر: مقدار الشيء وحالاته المقدرة (الوسيط) لقد وصل العلم الحديث إلى أطراف من هذه الحقيقة... في إدراك التناسق بين أبعاد النجوم والكواكب... ووضع الأرض لتكون صالحة... والعلاقة بين الأحياء وبين الظروف حولها (الظلال).

(٥) أي ولا ننزله إلا حسب حاجة الخلق والمصالح كما نشاء ونريد (الصفوة).

كُلُّ شَيْءٍ فَقْدَرُهُ تَقْدِيرًا ﴿ [الفرقان: ٢] (١).

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾
[المؤمنون: ١٨].

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١] (٢).

تؤكد الآيات ما بينته المعارف الحديثة من أن كل شيء في السموات والأرض يخضع لاتزان دقيق ومحسوب، فالأجرام السماوية تنطلق في الفضاء بسرعات محسوبة في اتجاهات مقدرة، بحيث يتزن تجاذبها مع قوى الطرد الناشئة عن حركتها، فتبقى بذلك في مساراتها النسبية بعيدا عن بعضها البعض إلى أن يشاء الله، فالشمس - يبعدها المحسوب عن الأرض - تمدنا بالطاقة المحسوبة المناسبة لحفظ حياة الكائنات، ولو اقتربت الشمس قليلا من الأرض لاحترق كل من عليها، ولو ابتعدت قليلا لماتت الكائنات أو تجمدت، والقمر كذلك يؤثر على حركة المد والجزر في البحار والمحيطات، ووضعه محسوب لو اقترب عنه زاد تأثيره على مياه البحر والمحيط حتى تغرق المعمورة.

ونظم الحياة على كوكب الأرض تحكمها توازنات دقيقة: فالهواء الذي نتنفسه يظل دائما بتركيبه المناسب للحياة الكائنات، فلا يزيد فيه الأكسجين بلا حساب فتحترق الكائنات، ولا يستهلك فتتوقف الحياة، وذلك بفضل عمليات التمثيل الكلوروفيلي بالنبات، التي تعيد لنا ما يعادل ٤٠٠-٥٠٠ مليون طن أكسجين سنويا، تعوض تماما كل ماتستهلكه الكائنات الحية في التنفس، وكذلك الغلاف الجوي بطبقاته المختلفة ومكوناته - كالأوزون وغيره - التي تؤدي دورا هاما في

(١) قدر: تمهل وتفكر في تسوية أمر وتهيته (الوسيط) والتقدير: التروية والتفكير في تسوية أمر وتهيته (اللسان) قدر حجمه وشكله وقدر وظيفته وعمله وزمانه ومكانه وقدر تناسقه مع غيره من أفراد هذا الوجود الكبير... وينفي فكرة المصادفة نفيا باتا (الظلال)، وأثبت العلم الحديث أن كل الموجودات تسير وفق نظام دقيق (المنتخب).

(٢) الماء... فهو مقدر موزون لا يزيد فيغرق، ولا يقل فتجف الأرض وتذبل الحياة (الظلال)، أى بمقدار ووزن معلوم بحسب الحاجة والكفاية، قال البيضاوي: أى بمقدار ينفع ولا يضر (الصفوة).

حماية الحياة على الأرض يتجدد تركيبه دوما، أخذا وعطاء مع الهواء الجوى ومع الأشعة الكونية.

والكائنات الحية - برية وبحرية وطيورا وحشرات - يحكم بقاءها توازنات دقيقة تربط فيما بينها وبين الظواهر الجوية والجيولوجية والنباتية، وفي جسم الإنسان دور محسوب بدقة لمقادير كل عنصر من العناصر الكيميائية - حتى الشحاح منها - سواء في ضبط الأكسجين في الدم عن طريق التنفس، الذي تتحكم فيه مراكز إحساس على الشريان الأورطي والشرابين المتجهة إلى المخ فترسل إشارات عصبية تؤدي إلى الشهيق والزفير، أو في ضبط نسبة الماء في الدم، التي تتحكم فيها مجموعة من النظم المعقدة: من غدد العرق إلى الغدة النخامية التي تتحكم في عمل الكلى للتخلص من الماء الزائد، كل هذه الاتزانات وغيرها تعبر عنها ماسقناه من آيات الذكر الحكيم أصدق تعبير.

٢ / ١ دورات الحياة :

لكل كائن حي - حيوانا كان أم نباتا - دورة حياة يتفاعل فيها مع التربة والماء والهواء وغيرها من الكائنات، فتأمل الإشارات البليغة إلى خروج الكائن الحي من الجماد الميت وإلى إبداء الحياة ثم إعادتها:

﴿تُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرَزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧] (١).

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ

(١) دورة الحياة والموت هي معجزة الكون وسر الحياة نفسها، والسمات الرئيسية أن الماء وثاني أكسيد الكربون والنيتروجين والأملاح غير العضوية في التربة تتحول بالشمس والنبات الأخضر وأنواع من البكتيريا إلى مواد عضوية هي مادة الحياة في الحياة والنبات، ثم الشق الثاني من الدورة... تحلل... وما تذكره الآية الكريمة هو الإعجاز بعينه (المنتخب)... وتتسع الدائرة فيموت الحي كله، ولكن خلاياه تتحول إلى ذرات تدخل في تركيب آخر ثم تدخل في جسم حي... وهكذا دورة دائبة في كل لحظة من لحظات الليل والنهار (الظلال).

السَّيِّئُ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ قَدِ افْعَلْنَا نَتَقُونَ ﴿١٩﴾ [يونس: ٣١] (١).

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩] (٢).

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩].

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤].

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣] (٣).

كما أثبتت المعارف الحديثة أن دورة الحياة في الإنسان ترتبط بدورة العناصر الحيطية : فمن عناصر الأرض يتكون الإنسان، وعلى نتائجها يتغذى، ويتفاعل معها أخذًا وعطاءً في عمليات التمثيل الغذائي والإخراج وتجديد الخلايا طوال حياته، ثم إليها يتحلل بعد مماته.

وهذه أمثلة لبعض دورات الحياة والموت :

(أ) دورة الخلايا الحية :

والتي تتمثل في الاستهلاك ثم التجدد المستمر لخلايا الإنسان وغيره من الكائنات الحية، فالخلايا الحية تتحول إلى مواد غير حية (الميت من الحي) لتحل محلها خلايا جديدة (الحي من الميت)، مثال ذلك :

(١) وإن تحول الطعام الذي يموت بالطهي والتأثر إلى دم حي في الجسم الحي، وتحول هذا الدم إلى فضلات ميتة بالاحتراق، لأعجوبة يتسع العجب منها كلما زاد العلم بها (الظلال)

(٢) وفي كل لحظة يجف عود أو شجرة ... وفي كل لحظة تدب الحياة في جنين ... والجثة التي ترمى في الأرض ... هي مادة جديدة للحياة وغذاء جديد للنبات (الظلال).

(٣) البدء والإعادة وإن اتجه معناه الكلي إلى النشأة الأولى والآخرة، إلا أنهما حدثان دائبان كل لحظة ... والكون كله في تجدد مستمر وبلى مستمر (الظلال).

الصفائح الدموية كل ٧-١٠ أيام، كرات الدم البيضاء تتجدد كل ٦-١٢ ساعة.

(ب) دورة الكربون :

الكربون هو العمود الفقري للمركبات العضوية، التي تتكون منها سائر الخلايا الحيوانية والنباتية، يعتمد الإنسان في غذائه على الحيوان والنبات، بينما يعتمد الحيوان في غذائه - بدوره - على النبات، ويحصل النبات على غذائه من الهواء الجوي بتمثيل غازي ثاني أكسيد الكربون وبخار الماء أثناء النهار من خلال عملية التمثيل الكلوروفيلي؛ وبذلك يتحول الهواء « الميت » إلى خلايا نباتية « حية »، يتغذى عليها الحيوان والإنسان لتكوين خلاياهم « الحية » من نواتج هضم الطعام « الميتة »، يتجدد ثاني أكسيد الكربون في الهواء الجوي بعمليات التنفس في الإنسان والحيوان والنبات « الميت من الحي » وتحلل هذه الكائنات بعد موتها .

(ج) دورة النتروجين :

يدخل النتروجين في تركيب الأحماض الأمينية، التي منها يتركب بروتين الخلايا الحيوانية الحية، يحصل الإنسان على البروتين من غذائه على الحيوان وبعض النباتات، ويتغذى الحيوان بدوره على البروتين النباتي، وبذلك يكون النبات هو المصدر النهائي للنتروجين في الكائنات الحية؛ يحصل النبات على النتروجين من سماد الأرض الطبيعي أو الصناعي « الميت »، وينتج السماد الطبيعي « العضوي » من فضلات وتحلل الكائنات الحية في التربة - حيث تتحلل بروتيناتها إلى نشادر تحوله البكتريا إلى نترات ونترات أو إلى نتروجين جوي، أما السماد الصناعي فينتج بعمليات كيميائية من النتروجين الجوي.

(د) دورة الطاقة :

يستمد النبات طاقة الشمس ليصنع الغذاء الكربوهيدراتي والبروتيني في صورة خلايا نباتية « حية »، تستمد منها خلايا الإنسان والحيوان حاجتها من الطاقة، ومن تحلل بقايا الكائنات الحية في باطن الأرض منذ آلاف السنين نتجت سائر أنواع الوقود كالفحم والبتروول والغاز الطبيعي « انظر ٨/٣ - الوقود » التي يستغلها الإنسان - مع مايقطعه من سيقان الأشجار- لإنتاج الطاقة.

والزوج لغة: النوع من كل شيء، والزوجان: اثنان أحدهما تقيض الآخر.

لو تأملنا مكونات الذرة لوجدنا للبروتون الموجب قريناً سالبا: الأنتى بروتون، وفي الذرة المتعادلة: لكل بروتون إلكترون يعادله، والإلكترونات «السالبة» قرينها البوزيترون الموجب، بل إن النيوترون المتعادل له قرين «أنتى نيوترون»، ليس هذا فحسب بل إن للأجرام السماوية المرئية المنبثقة في الفضاء اللانهائي يعتقد الآن أن لمادتها قريناً غير مرئي يطلق عليه اسم: المادة المظلمة، التي بمثابة الصورة السلبية لمادة الكون، والله أعلم «انظر أيضا موضوع ٤ / ٦: زوجية الكائنات الحية».

كل المخلوقات - حية وجامدة - تتركب من وحدات نمطية متطابقة، لا تختلف ولا تتفاوت مهما تعدد الخلق وتكرر، فكل ذرات الخلق حولنا تتكون من بروتونات موجبة ثابتة الكتلة والشحنة، ونيوترونات متعادلة ثابتة الكتلة، وإلكترونات سالبة ثابتة الكتلة والشحنة - في شتى العناصر والمواد، والمواد إما عنصرية «من نوع واحد من العناصر» أو مركبة، العناصر - فلزية أو غير فلزية - ذراتها جميعا متماثلة، وتترتب ذراتها في أشكال هندسية متطابقة على مسافات وبزوايا ثابتة مهما تعددت ببلايين البلايين «الستيمتر المكعب من الحديد مثلاً يحوى حوالى ٨٥,٥ × ١٠^{٢٦} ذرة، أى ٨٥٠٠ مليون مليون مليون ذرة»، وكل مركب كيميائى يتركب باتحاد ذرات من عنصرين أو أكثر بنسب ثابتة ويتوزع فراغى محدد وخواص مميزة ثابتة، وكل عضو من أعضاء الكائنات الحية - حيوانية أو نباتية - يتركب من أنواع محددة من الخلايا التى يتشابه كل منها فى التركيب التشريحي والكيميائى وفى الوظائف - مهما تعددت تلك الخلايا، وكل كائن حى يخلق وينمو ويتحلل بنفس النمط ونفس التشريح والوظائف لايحيد عنه قيد أتملة أى واحد من أفراده عبر الأجيال، وهذا ماقرره القرآن المعجز فى قوله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ . ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣، ٤] (١).

١ / ٤ الزوجية العامة :

تشير الآيات القرآنية إلى أن المخلوقات عامة- حية أو جامدة «كل شيء» أزواج، أى أن ظاهرة الزوجية لا تقتصر على الحيوان والنبات، كما يتضح فى الآية:

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩] (٢).

(١) تفاوت الشيطان: اختلافا فى التقدير، وتفاوت الخلق: اختلف ولم يكن سويا (الوسيط)، أى ما ترى اختلافا ولا اضطرابا (اللسان).

(٢) العامة تخطئ فتنظرون الزوج اثنان، وليس ذلك من مذاهب العرب، إذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحدا فى مثل قولهم: زوج حمام، بل يثنونه فيقولون: عندى زوجان من الحمام، أى ذكر وأنتى، أو زوجان من الخفاف، أى اليمين والشمال، ويدل على ذلك أيضا قول الله تعالى: ﴿وأنه خلق الزوجين =

= الذكر والأنثى: اثنان، وقوله: «فاسلك فيها من كل زوجين اثنين»، وقوله تعالى: ﴿ثمانية أزواج﴾ المراد: ثمانية أفراد (اللسان)، وفى الآية حقيقة عجيبة تكشف عن قاعدة الخلق فى هذه الأرض. وربما فى الكون... وهى ظاهرة فى الأحياء، ولكن كلمة «شيء» تشمل غير الأحياء أيضا... وحين نتذكر أن هذا النص عرفه البشر منذ ١٤ قرنا فإن ذلك أمر عجيب عظيم (الظلال).

الفصل الثانى

فى الكون

١ / ٢ تماسك الكون :

قال تعالى فى سورة الرعد :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾
[الرعد : ٢] .

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان : ١٠] .
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : ٤١] .

أى أن قوى ميكانيكية غير مرئية ترفع الأجسام السماوية بعيدا عن بعضها بأمر الله، ومصدر هذه القوى الطاردة طاقة الحركة التى انطلقت بها الأجسام منذ انفصالها عن بعضها البعض لتعادل بها تأثير الجاذبية . الجاذبية بدورها قوى غير مرئية تؤثر على كل الأجسام المادية سواء كانت أجراما سماوية أو جسيمات نووية، ويختلف التعبير القرآنى فى هذه الآيات - مع دقته ووضوحه - كثيرا عن تصورات البشر فى الماضى القريب، حيث سادت خزعبلات عن طبيعة الأجرام السماوية والقوى التى تحكمها وتشدها إلى بعضها البعض .

٢ / ٢ أبعاد الكون :

كلما هدى الله الإنسان إلى مزيد من العلوم الفلكية كلما تفتن إلى الجديد من أوجه الإعجاز فى الإشارات الكونية بالقرآن الكريم، فقد أدرك الإنسان أن مواقع النجوم كلها مقدرة تقديرا بحساب دقيق :

وفى مثل هذا المعنى أيضا :

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] (٢).

وكل ما فى الكون من أجرام يسبح فى أفلاك :

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] (٣).

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] .

والسباحة لغة هى : الحركة الذاتية : وهذا تصحيح للفلسفة اليونانية القديمة التى كانت تنادى بأن الشمس والقمر والكواكب كل مغروز فى أغلفة كروية شفافة حول الأرض - المركز المشترك للكون فى تصورهم .

الكون الذى يمتد إليه بصرنا «إلى أقصى مدى تتيحه وسائل الرصد» مترامى الأطراف حتى أن قطر مجرتنا - بما فيها من نجوم «أحدها الشمس» وكواكب وأقمار يبلغ حوالى ١٠٠٠٠٠ «مائة ألف» سنة ضوئية، أى يقطعه الضوء فى ١٠٠٠٠٠ سنة، أما أقرب المجرات «من ملايين المجرات فى الكون» فتبعد ٧٠٠٠٠٠ سنة ضوئية عن مجرتنا، فسبحانك ربى كما وصفت ذاتك :

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ

(١) لم يكن المخاطبون (وقت نزول القرآن) يعلمون عن مواقع النجوم إلا القليل، أما فى هذا العصر فقد ظهرت معجزة القرآن (الصفاة)، وتبين الآيات مدى أهمية هذا القسم العظيم، فلو كان بعد الشمس عن الأرض أقل أو أكثر مما هو عليه الآية فإن الحياة تصبح قاسية متعذرة... وإذا ما اقترب نجم من النجوم من الشمس فإن ذلك يؤدى إلى اختلال فى التوازن وإلى الهلاك وإلى الفناء (المنتخب).

(٢) البرج واحد من بروج الفلك، وإنما قيل للبرج لظهورها وبيانها وارتفاعها (اللسان)

(٣) الفلك : المدار يسبح فيه الجرم السماوى (الوسط)، وتسبح فى الفلك : إذا جرت فى دورانها (اللسان).

والأرض ليست كظن الأقدمين - محور الكون - بل هى كوكب تابع للشمس، أحد نجوم مجرة درب التبانة التى تضم قرابة ١٠٠ بليون نجم منتشرة فى الفضاء المتسع، يبلغ «أقصر» قطر لها كما ذكرنا ١٠٠٠٠٠ سنة ضوئية، ولما كانت سرعة الضوء ٣٠٠٠٠٠ كم/ الثانية، فإن هذا القطر يعادل حوالى ١٨١٠ كم «١٠ أس ١٨» «أى مليون مليون مليون كيلو متر»، وتقع الشمس على مسافة ٣٠٠٠٠٠ سنة ضوئية من مركز المجرة، وهذه المجرة بما فيها ماهى إلا واحدة من بلايين المجرات التى تموج بها السماء «المرئية» والتى توصلت أقوى مالدى البشر من تلسكوبات ووسائل رصد إلى تقديرها بأكثر من ٥٠٠ بليون مجرة، علما بأن هذه الوسائل لايمتد مجالها أكثر من ٥ بلايين سنة ضوئية فى الفضاء حتى الآن.

وتتفق هذه الحقائق العلمية تماما مع التعبيرات القرآنية فى وجهين :

أ - حيثما اجتمع ذكر السموات والأرض بصيغة العطف فى آية «١٧٨ آية» جاءت السموات مقدمة على الأرض، وذلك فى مثل قوله تعالى :

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُّعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣] .

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] .

عدا موضعين اقتضى فيها سياق الموضوع غير ذلك (١).

ب - فى النصوص القرآنية أيضا مايشير إلى أن الحياة بصورها المختلفة ليست قاصرة على عالمنا الأرضى، بل ثمة صور مشابهة أو مغايرة من صور الحياة فى كواكب أو

(١) مثل آية (إبراهيم / ٤٨) : «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات» حيث اقتضى السياق الحديث عن تبدل الأرض غير الأرض ثم ذكر السموات أيضا، وكذلك الآية (طه / ٤) : «تنزila من خلق الأرض والسماوات العلا» التى جاءت فى معرض تثبيت قلب النبى صلى الله عليه وسلم بأنه يتلقى الوحي من العزيز الحميد الذى خلق هذه الأرض التى عليها يحيا كما خلق السموات العلا على امتدادها.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾
[النحل: ٤٩] (١).

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩] (٢).

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَّهُمْ بِالْغَدُوِّ وَالْآصَالِ﴾
[الرعد: ١٥].

ويتفق ذلك أيضا مع صيغة الجمع: «العالمين» التى تنبث فى أرجاء الذكر الحكيم ابتداء من فاتحة الكتاب: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى ٧٢ موضعا آخر. كما يتمشى مع ما جاء فى الحديث من دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام:

«اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الاراضين وما أقلت» (الترمذى).

٢/٣ تطور الكون :

نقرر أولا أنه مهما تقدم العلم فلن يصل أبدا إلى القول الفصل فى كيفية نشأة الكون فى الماضى السحيق، ولكننا لا نغفل عن التطابق المذهل بين المعارف الفلكية الحديثة وبين ماقرره القرآن بوضوح تام، فقد أدرك العلم البشرى مؤخرا - بعون الله - أن الكون يتمدد باطراد منذ نشأته، وقد سجلت مؤخرا صور لأعماق الكون على مسافة ١٥ بليون سنة ضوئية، أى أنها تمثل ما كان عليه الأمر فى ذلك الزمان

(١) تسبق هذه الآية ركب العلم فى تقرير وجود أحياء تدب على بعض الكواكب فى مجموعتنا الشمسية أو خارج نطاقها، وهذا ما يحاول العلم الآن الوصول إلى حقيقة (المنتخب).

(٢) ودع عنك تصور الأحياء الأخرى فى السماء... هذه الأحياء التى تدب فى السماوات والأرض (الظلال)، ... ومانشر فيهما من الكائنات الحية المتخالفة فى الصور والأشكال (المفسر)، ... وما نشر فيهما من الدواب المرئية وغيرها... (المنتخب)

السحيق، تشير الصور إلى تمدد فى مادة الكون بعد تمزقها إلى بلايين الأجزاء فى سحابة دخانية كبيرة - تلك التى كونت دقائقها فيما بعد الأجرام السماوية التى نراها الآن: نجوما انفصلت عنها كواكب وأقمار، أليس بمعجز ومثير للخشوع فى آن واحد أن يشير القرآن إلى هذه المفاهيم الثلاثة فى آياته التى نزلت منذ أربعة عشر قرنا ألا وهى :

أ - انفصال الأجرام السماوية عن جسم واحد :

﴿أَوْ لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠] (١).

ثم إعادة جمعها يوم القيامة :

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ب - نشأة الأجرام السماوية من دخان :

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] (٢).

(١) الرق: المرتوق، من رتق الشئ رتقا: سده أو لحمه (الوسيط)، وارتق أى التأم (الصباح)، والرتق ضد الفتق (اللسان)، وفتق الشئ فتقا شقه (الوسيط)، والنظرية القائمة اليوم... أن... المجموعات النجمية كانت سديما ثم انفصلت (ورغم أن) هذه ليست سوى نظرية تقوم اليوم وقد تنقض غدا، ولكننا نتقبل النظريات الفلكية التى لا تخالف هذه الحقيقة المجملية التى قررها القرآن... السابق عليها بأجيال (الظلال)، وتقرر هذه الآية معانى علمية أيدتها النظريات الحديثة، وهناك نظريات عديدة كل منها تفسر بعض الظواهر وتعجز عن تفسير الأخرى، لذلك فليس بين هذه النظريات ما هو مقطوع به لدى العلماء بالإجماع (المنتخب).

(٢) إن نظرية الخلق تقول: إن المجرة كانت من غبار وغاز، ومن هذين تكونت بالتكشف النجوم، وبقيت لها بقية، ومن هذه البقية كانت السدم، ولا يزال من هذه البقية منتشرا فى هذه المجرة الواسعة (الظلال).

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات : ٤٧] (١).

٢ / ٤ نسبة الزمن :

فكرة النسبية - التي اكتشفت في العصر الحديث - أشار إليها الخالق العليم مرارا في آيات معجزة تؤكد أن الزمن في الكون نسبي :

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج : ٤٧] (٢).

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج : ٤].

﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة : ٥] (٣).

اليوم الأرضي تضبطه دورة الأرض حول نفسها دورة كاملة في زمن نسميه «يوماً» ونقسمه اصطلاحاً إلى ٢٤ ساعة، ثم إلى دقائق وثوان، بينما اليوم على كوكب الزهرة يعادل ١١٨ يوماً أرضياً، وعلى كوكب عطارد = ١٧٦ يوماً أرضياً، بينما يوم كوكب المشتري = ٩ ساعات و ٥٥ دقيقة، ويوم كوكب زحل = ١٠ ساعات و ٤٠ دقيقة، في الفضاء على اتساعه إذاً لا يصبح ليومنا الأرضي معنى ولا مغزى إلا لمن يعيش على هذا الكوكب، هنا أيضاً اضطر السلف الصالح من المفسرين

(١) أوسع الشئ: صيره واسعا، (وأوسع الرجل: صار ذا سعة وغنى) (اللسان)، والتوسيع: خلاف التضييق (الصحاح)، وتشير الآية إلى معان علمية كثيرة منها اتساع السماء اتساعاً لا يدركه العقل... تقاس فيه المسافات بملايين السنين الضوئية، والآية تشير إلى تلك السعة المذهلة التي عليها الكون منذ خلقه، كما أنها تشير أيضاً إلى أن التوسعة مستمرة على الزمن، وهو ما أثبتته العلم الحديث أيضاً، وعرف بنظرية التمدد التي أصبحت حقيقة علمية في أوائل هذا القرن، وحاصلها أن السدم خارج المجرة التي نعيش فيها تبتعد عنا بسرعات متفاوتة، بل إن الأجرام السماوية في المجرة الواحدة تبتعد بعضها عن بعض (المنتخب).

(٢) يسبق القرآن بهذه الآية الكريمة ركب العلم بتقرير أن الزمن نسبي، وأن فكرة الزمن العالمي المطلق الذي كان يسلم به الأقدمون قبل نظرية النسبية هي فكرة خاطئة (المنتخب).

(٣) فأيام الأرض مقياس زمني ناشئ عن دورة هذه الأرض حول نفسها أمام الشمس مرة... وهو مقياس يصلح لنا نحن أبناء هذه الأرض الصغيرة الضئيلة (الظلال).

وقد غابت عنهم هذه المغارث إلى تفسير عبارة: «وإن يوماً عند ربك، وما شابه، بأن المراد أنه سبحانه وتعالى حلیم لا يعجل، فمقدار ألف سنة عند خلقه كيوم عنده بالنسبة إلى حلمه (الصفوة) فصرفوا المعنى عن دلالة المباشرة الغائبة عن معارفهم، ومما يثير التأمل في الآية الثانية ذلك الرقم (٥٠٠٠٠ سنة) إذ أن مجرتنا التي نعيش فيها (١٠٠ بليون نجم) يقدر أقصر قطر لها - من المركز إلى خارج المجرة - خمسين ألف سنة ضوئية أي أن الضوء وغيره من الموجات الكهرومغناطيسية والأجسام النوارنية عموماً تستغرق هذا الزمن ذاته لتنتقل من مركز المجرة إلى الفضاء الكوني المحيط بها أو العكس، وهنا لا يستطيع العقل والإدراك البشري القاصر أن يستطرد في الاستنتاج والتعليق والله أعلم.

ومن ناحية أخرى ليس ثمة تناقض بين الرقم ٥٠٠٠٠ في الآية الثانية والرقم ١٠٠٠ في الآيتين الأخريين، فبينما يشير الرقم الأول إلى رحلات للملائكة والروح مجهولة البداية مجهولة النهاية في فضاء الله الفسيح، يشير الرقم الآخر مباشرة إلى نسبة الزمن في الكون، وإلى اتساع أبعاده التي تقدر بآلاف السنين الضوئية.

٢ / ٥ التقويم :

الفرق بين التقويم القمري والشمسي ١٠ - ١١ يوماً في السنة، فالسنة الشمسية = ٣٦٥,٢٤٢٢ يوماً، بينما السنة القمرية = ٣٥٤,٦٠٣٦ يوماً، ومن هنا فإن ثلاثمائة عام شمسي تعادل تماماً ثلاثمائة وتسعة أعوام قمرية = ١٠٩٥٧٣ يوماً بلا نقص ولا زيادة، وهنا تتجلى دقة إعجاز التعبير القرآني في قصة أهل الكهف.

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف : ٢٥] (٤).

أي أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة بالتقويم الشمسي تزداد تسع سنوات إضافية إن

(١) وإن تحول الطعام الذي يموت بالطهي والنار إلى دم حي في الجسم الحي، وتحول هذا الدم إلى فضلات ميتة بالاحتراق، لأعجوبة يتسع العجب منها كلما زاد العلم بها (الظلال).

(٢) وفي كل لحظة يجف عود أو شجرة... وفي كل لحظة تدب الحياة في جنين... والجنة التي ترمى في الأرض... هي مادة جديدة للحياة وغذاء جديد للنبات (الظلال).

(٣) البدء والإعادة وإن اتجه معناه الكلي إلى النشأة الأولى والآخر، إلا أنهما حدثان دائيان كل لحظة... والكون كله في تجدد مستمر وبلى مستمر (الظلال).

(٤) تشير الآية إلى حقيقة فلكية، أن ٣٠٠ سنة شمسية = ٣٠٩ سنة قمرية، وقد سبقت الآية (في ذلك) علم الفلك (المنتخب).

التقويم القمري هو التقويم الطبيعي الذي ترتبط شهوره بظاهرة طبيعية هي تغير أوضاع القمر بشكل مطرد متكرر، أما غيره من التقاويم فأساسها وحدات «شهور» افتراضية لاعلاقة لها بظواهر طبيعية، صحيح أن السنة القمرية لاتتطابق مع السنة الشمسية التي فيها تتم الأرض دورة كاملة حول الشمس، إلا أن الأمر لم يكن كذلك يوم خلق الله السموات والأرض، لأن الأرض في دورانها حول نفسها ظلت تبطؤ تدريجيا منذ خلقها، بتأثير التباطؤ الطبيعي «منذ انطلاقتها منفصلة عن الشمس فيما يعتقد» إلى جانب تأثير جاذبية القمر على المد والجزر في المحيطات، فازداد يومها طولاً يوماً بعد يوم، بمعدل سريع في بداية الخلق حتى تناقص إلى معدل ضئيل «يزداد اليوم طولاً بمقدار 2×10^{-8} ثانية كل مائة عام في هذا الزمان»، ويعني هذا أن الأرض حين خُلِقَتْها «الذي يعتقد أنه حدث منذ حوالي ٥ بلايين سنة» كانت تنطلق بطاقة أعلى منها الآن سواء في دورانها حول نفسها أو حول الشمس، وبالتالي كانت السنة الشمسية على الأرض أقصر منها الآن، ولا بد أنها في يوم من الأيام «لا نعلمه ولن نعلمه ولا نملك حسابه لأن معدل تقاصر حركة الأرض وتغيره عبر الزمان منذ النشأة مجهول» كانت مساوية للسنة القمرية، وينطبق هذا المنطق مع قوله تعالى :

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

نلاحظ في هذه الآية التعبير : ﴿يوم خلق السموات والأرض﴾ وليس «منذ» خلقها، أي أنها كانت كذلك وقتها طبقاً لحدود التعبير .

٢ / ٦ الشمس :

اكتشف العلم الحديث الصدق المعجز لآيات القرآن الكريم، تلك الآيات التي تصف الشمس بصفات حار فيها المفسرون والقدماء : كونها سراجاً مشتعلًا متوهجاً - تقدر درجة حرارتها بقرابة ٦٠٠٠م عند السطح، و ٣٠ مليون درجة في مركزها :

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبا: ١٣] (١) .
وذلك بالمقارنة بالقمر المنير البارد الذي يقتصر دوره على دور المرآة العاكسة :
﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦].
﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].
فصرف المفسرون القدماء معنى «السراج الوهاج» إلى أن المقصود به مجرد التشبيه، لشدة الضياء .

كما أشار القرآن إلى جريها المستمر في الفضاء في اتجاه محدد :

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

والجري لغة هو : الاندفاع والإسراع في السير (المعجم الوسيط)، وقد تبين أن الشمس تجرى بسرعة ١٥٠٠ كم / ثانية، بالنسبة للنجوم المجاورة لها في المجرة، وتتم دورتها حول المركز في حوالي ٢٠٠ مليون سنة، كما حددت الدراسات الفلكية ذلك الاتجاه الذي تجرى الشمس نحوه في الفضاء. إن عظم الحركة بهذه السرعة الكبيرة لجسم بهذه الضخامة «٣٣٣ ألف مرة قدر كوكب الأرض» يوضح إعجاز التعبير بالفعل «تجري»، بينما مبلغ ما يراه ويظنه الرائي فوق كوكبنا الأرضي : أن الشمس تتحرك ببطء وتؤدة من المشرق إلى المغرب .

ولكلمة «مستقر» مدلول زمني أيضاً، في مثل قوله تعالى : ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان: ٢٩].

وكذلك عبارة : ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢] (٢)،

(١) السراج : المصباح الزاهر (اللسان)، والمسرجة : ما يوضع فيها الفتيلة والدهن للإضاءة (الوسيط)، الوهاج : الشديد الوهج، من أوهج النار : أوقدها (الوسيط)، وتوهجت النار : توقدت (اللسان)، وفي «السراج» توقد وحرارة وضوء، وهو ما يتوافر في الشمس واختيار كلمة «سراج» دقيق كل الدقة ومختار (الظلال)، وقد ثبت علمياً أن درجة حرارة سطح الشمس المشع ٦٠٠٠ مطلقاً، أما في المركز فتزيد على ٣٠ مليون درجة... وتشع الطاقات فوق البنفسجية (٩٪) والضوئية (٤٦٪) والحرارية وتحت الحمراء (٤٥٪) ولذلك عبرت الآية بالسراج الذي يطلق الضوء والحرارة معا (المنتخب) .

(٢) (أيضاً فاطر: ١٣، الزمر: ٥) تشير إلى أن للشمس أجلاً تنتهي عنده، وقد تكون كما يقول علماء الفلك أن الشمس تحرق وقودها من الهيدروجين إلى هليوم، وقد تكون نهايتها بكارثة كونية (المنتخب) .

متتالية إلى نهاية عمرها المحدود.

٧/٢ القمر :

من إعجاز القرآن في العلوم الفلكية تناوله ما اكتشف في الزمن الحديث من حقائق حول القمر، ومنها طبيعته كجرم بارد عاكس للضوء - خلافا لحال الشمس « السراج » مصدر الضوء :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١] (١).

﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾ [نوح: ١٦].

يتبدل شكل القمر « الظاهر لنا » من هلال إلى بدر وهلم جرا حسب أوضاعه النسبية بالنسبة للشمس وللأرض كما تعبر عنه الآيتان الآتيتان :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥] (٢).

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩].

القمر أصغر كثيرا من الشمس « قطره أصغر ٤٣٦ مرة » رغم ما يظهر للرائي على سطح الأرض « يبدو قرص القمر ١,١٨ مرة قدر قرص الشمس »، وتعالوا نقرأ معا هذه الآيات من سورة الأنعام :

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ . فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٩].

(١) أى أن الشمس سراج وهاج، أما القمر فينير بضياء الشمس المرتد من سطحه (المنتخب).

(٢) منازل القمر: مداراته التي يدور فيها حول الأرض يدور كل ليلة في أحدها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنه (الوسيط)، وهي أوضاعه المختلفة بالنسبة للأرض والشمس وهي التي تنتج عنها أوجه القمر (المنتخب).

هذا إبراهيم عليه السلام يجول ببصره في السماء لعله يهتدى إلى الخالق العظيم، الذي هو أكبر وأبقى من كل شيء، فيتدرج في التفاته من الأدنى إلى الأعظم شأنًا، فيبدأ بكوكب منير يراه صغيرا يظهر ليختفى، فيلتفت إلى القمر المنير وقد اتسق بدرا يملأ ضياؤه السماء، ولكنه هو الآخر لا يستقر على حال، فينتقل ببصره وفكره إلى الشمس فيراها أكبر من القمر ومن الكواكب، هذا ما كان من شأن إبراهيم وتدرج فكره البشري، أما النص القرآني فقد أشار إلى الشمس فحسب بعبارة « أكبر » ولم يشر بذلك إلى القمر رغم أن قرصه الظاهري أكبر قليلا من قرص الشمس وأكبر كثيرا من قرص الكواكب، ولكن الحكيم العليم منزل القرآن يعلمنا أن القمر أصغر من الشمس ومن أى كوكب من كواكب المجموعة الشمسية .

كما بينت آيات القرآن أن القمر التابع للأرض ليس هو القمر الوحيد في الكون الذى يدور حول كوكب تابع له، إن ثمة أقمار توابع في مجموعتنا الشمسية رصد العلم منها ٥٩ قمرا تدور حول: المشتري (١٦)، زحل (١٦)، المريخ (٢)، أورانوس (١٥)، نبتون (٨)، بلوتو (١)، غير مافى أنحاء المجرة وفي الكون على اتساعه من أقمار مصداقا للتعبير القرآني الجامع :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾ [نوح: ١٥، ١٦].

إذ يبدو أن القمر في هذه السموات المتعددة اسم لجنس القمر وليس لقمر معين.

٨/٢ الشهاب :

في دقة علمية معجزة يكشف القرآن عن كنه الشهاب - وهو ما لم يدركه البشر إلا حديثا - وأنها تنتج عن حركة الأجسام المادية بسرعة خلال الغلاف الجوى للأرض :

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ . وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ . إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ [الحجر: ١٦ - ١٨].

وفي ذلك المعنى أيضا جاء في سورة الصافات :

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ . وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ . لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ . إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ

وفى سورة الملك:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

الفصل الثالث

فى الأرض

١/٣ شكل الأرض:

استدارة الأرض حقيقة تنطلق بإعجاز من تعبير: «تكوير الليل على النهار، والنهار على الليل» كما جاء فى سورة الزمر:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥] (١).

فما الذى يُكوِّرُ إن لم يكن جسماً كروياً؟ ومما يذكر أن من المفسرين المسلمين، مثل البيضاوى والرازى، من استنبط من نص هذه الآية أن الأرض كروية - قبل توافر الأدلة والبراهين العملية على ذلك، والمعروف أن الأرض كرة غير تامة الاستدارة بل هى بيضاوية بعض الشيء، ويتفق هذا الوصف مع ما جاء فى سورة النازعات:

﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠، ٣١].

من معانى الدحية: البيضة.

ومن ناحية أخرى أثبت العلم الحديث أن النسبة بين قطرى الأرض تتناقص باطراد، وربما كان ذلك بياناً لما يشار إليه فى القرآن بتعبير «نقص الأرض من أطرافها».

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ

كما أشار إلى الحقيقة الفلكية المذهلة وهى: امتلاء الفضاء بالشهب حتى إنه يقدر أن جو الأرض يدخله يومياً آلاف الملايين من الدقائق بسرعة قد تصل إلى ٢٧ كيلو متراً فى الثانية «لشهب وزنها ١ ملليجرام»، ولا يمكن رؤيتها إلا بالتلسكوب، وسرعان ما يتحول معظمها إلى بخار بالاحتكاك بالهواء، ومنها ما يرى بالعين المجردة، كما يقدر ما يسقط على الأرض بعد احتراقه بمقدار ٢٥٠٠ كيلو جرام يومياً، ولنقرأ فى سورة الجن:

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مُلْتَئِحَةً حَرِاسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا﴾ [الجن: ٨، ٩].

ونلاحظ فى هذه الآية - على لسان الجن - أنهم فوجئوا بزيادة لم يعهدوها فى الشهب حتى كأنها ملأت سماء الأرض، وقد كشف العلم الحديث قرائن مؤكدة على أنه كان ثمة كوكب بين المريخ والمشتري، قد انفجر فى زمان بعيد، وتفتتت أشلاؤه لتسبح بلاهدى فى الفضاء، وتصيب كواكب المجموعة الشمسية، ويعتقد أن هذه الأشلاء وغيرها مازالت مصدر الشهب.

وإلى جانب الشهب تدور فى الفضاء أجسام على شكل مذنبات يعتقد أنها مادة ثلجية من ماء محمل بالشوائب مداراتها بيضاوية عالية الاستطالة، يقطع بعضها مدار الأرض كل عشرات السنين، أشهرها مذنب هالى، الذى يظهر كل ٧٦ سنة تقريباً ليختفى، آخرها عام ١٩٣٤، وقرأ قسم الله تعالى بها:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ . الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ [التكوير: ١٥، ١٦].

والخنس: إشارة إلى كل ما يختفى من كواكب ومذنبات.

(١) كَوَّرَ الشيء: لفه على جهة الاستدارة (الوسيط)، وتكوير العمامة: لفها وجمها (اللسان) وهو تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسراً على الالتفات إلى ما كشف حديثاً عن كروية الأرض... وكلمة تحركت بدأ الليل يغمر السطح الذى كان عليه النهار. وهذا السطح مكور فالنهار كان عليه مكوراً والليل يتبعه مكوراً كذلك... واللفظ يرسم الشكل ويحدد الوضع، ويحدد نوع وطبيعة الأرض وحركتها (الظلال).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١] (٢).

وفى تفسير آخر للمقصود بنقص الأرض من أطرافها يرى بعض العلماء أنه إشارة إلى تباعد القارات والذي بدأ منذ كانت القارات كلها- فيما يعتقد- وحدة واحدة، ثم انشقت عن بعضها فى الزمن السحيق ونشأت بينها المحيطات الشاسعة واستمرت فى التباعد بمعدل بطيء مطرد حتى يومنا هذا، كما أن الشواطئ تتآكل وتتناقص باستمرار نتيجة عوامل متعددة، وفسر السلف من المفسرين بأنه إشارة إلى اتساع ديار المسلمين نقصا من ديار الكافرين، والله أعلم.

٣ / ٢ حركة الأرض حول نفسها :

تشير آيات عدة بعبارات دقيقة، إلى حركة الأرض المستمرة فى دورانها حول نفسها، ويأتى القرآن بعبارات علمية محددة المعنى دقيقة الدلول بيانها كالاتى :

أ - من عبارة التكوير :

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥] (٣).

والتكوير لغة: اللى واللف وأصله من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها، فتشير الآية بذلك إلى جسم كروى يدور، فيحدث بدورانه الليل والنهار .

(١) هذه الآية من آيات الإعجاز العلمى للقرآن الكريم فهى تشير إلى أن الأرض ليست كاملة الاستدارة، ولم يتمكن العلماء من قياس أبعاد الأرض بالدقة إلا منذ ٢٥٠ سنة تقريبا، ... وتبين أن نصف القطر الاستوائى أكبر من نصف القطر القطبى بحوالى ٢١ر٥ كيلو متر (المنتخب)، وانظر تفسير الرعد /

(٢) تتضمن هذه الآية حقائق وصلت إليها البحوث العلمية الأخيرة، إذ ثبت أن سرعة دوران الأرض حول محورها وقوة طردها المركزى يؤدىان إلى تغلطح فى القطبين وهو نقص فى طرفى الأرض، وكذلك عرف أن سرعة انطلاق جزئيات الغاز المولفة للكورة الأرضية إذا ماجاوزت قوة جاذبية الأرض لها فإنها تنطلق إلى خارج الكورة الأرضية، وهذا يحدث بصفة مستمرة فتكون الأرض فى نقص مستمر لأطرافها، لا أرض أعداء المؤمنين، وهذا احتمال فى التفسير تقبله الآية الكريمة (المنتخب).

(٣) انظر تفسير آية الزمر / ٥ فى الهامش (١) صفحة ٥١.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] (١).

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

الفلك : المسار، مسار الشمس معروف، سواء مسارها النسبى بحركة الأرض، أو مسارها الفعلى فى مجرتها، ومسار القمر معروف كذلك فى دورانه حول الأرض فما مسار الليل والنهار؟ مسار الليل والنهار ماهو إلا حركة الأرض المنشئة لتتابع الليل والنهار، ويؤكد ذلك أن الفعل «يسبحون» جاء بصيغة الجمع وليست بصيغة المثنى «للشمس والقمر فحسب» .

ج - سلخ النهار من الليل :

﴿وَايَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٧] (٢).

فالسرخ هو: إزالة غشاء من على سطح بفعل حركة تدريجية، الحركة هنا هى حركة الأرض، والغشاء السماوى المنير الذى ينسلخ بإدبار النهار وإقبال الليل هو: الغلاف الهوائى للأرض فى الجزء الذى كان مواجهها للشمس، فهذا الغلاف الجوى يتلقى ضوء الشمس فيشتت «بفعل ما يحمله من جزئيات وأيونات غازية» فينتشر فى أنحائه وتضيئ السماء ويعم الأرض الضياء طوال النهار، حتى تدور بعيدا عن مواجهة الشمس وهكذا دواليك: ضياء ثم انسلخ، ثم ضياء ثم انسلخ، أى أن الأصل فى الكون - كما بينته رحلات الفضاء - هو الظلام، أما النور فأمر عارض بفعل الغلاف الجوى وقدرته على نشر ضوء الشمس .

(١) الفلك : المدار يسبح فيه الجرم السماوى (الوسيط)، والسباحة: العوم، وسبح الفرس مد يديه فى الجرى (الوسيط)، والنجوم تسبح فى الفلك: إذا جرت فى دورانها (اللسان)، أى أن كل من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار يجرون ويسيرون بسرعة كالسباح فى الماء (الصفوة) ... كما أن دوران الأرض حول محورها يجعل الليل والنهار يتعاقبان عليها كأنهما يسبحان (المنتخب) .

(٢) سلخ الجلد: كشطه ونزعه، وسلخ الله النهار من الليل: كشفه وفصله (الوسيط)، ونسلخ ... نكشف عنه النهار، مستعار من سلخ الشاة (المفسر)، تعبير مصور للحقيقة الكونية أدق تصوير (الظلال)، ... وفى الآية رمز إلى أن الأصل هو الظلام والنور عارض (الصفوة) .

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

بينما الأقرب إلى تصور العامة أن ضوء النهار هو الذى يغشى الأرض عند ظهور الشمس.

د - من تجلية الشمس :

قال تعالى : ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا . وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا . وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا . وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: ١ - ٤].

يتبادر للعامة أن الأرض ساكنة تشرق عليها الشمس كل صباح فيتجلى كل شيء، أى أن الشمس هي التي تُجلى وتظهر كل شيء فى النهار، ولكن الآية الكريمة تقول قولاً آخر صريحاً يتفق مع ما يعرفه العلماء أن النهار «الناجم عن حركة الأرض» هو الذى يظهر الشمس ويجليها للناظرين، كما تعود الآية لتؤكد ما أشرنا إليه فى الفقرة السابقة عن «غشيان الليل» للشمس: أى حجبتها نتيجة حركة خارجة عنها.

وفى نفس المعنى أيضاً قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: ٦٧].

ومثلها فى سورة الإسراء:

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

أى أن من على وجه الأرض المواجه للشمس نهاراً يبصر الشمس حتى يدور بعيداً عنها - بالمعنى الحقيقى - وليس - كما ذهب بعض القدماء - كناية عن إبصار الناس للأشياء.

﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] (١).

فالدحو لغة: القذف من المقر مع المد والبسط والتوسيع فى السطح، ولا بد أن ذلك قد حدث للأرض بصورة ما مع بداية انفصالها عن الشمس، وانطلاقها لتدور كالدحية حول نفسها - وقد أصبح شكلها بيضاوياً بعض الشيء، لتظل مشدودة فى دورانها حول ذلك الجرم الضخم «الشمس» = ١٠٩ مرات حجم الأرض» دورتها السنوية، كما تدور حول نفسها مرة كل يوم وليلة.

و - من «حركة الجبال» :

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨] (٢).

ذلك أن الأرض التى نحسبها ساكنة تتحرك بما تحمله من جبال وأثقال بسرعة ١٦٦٩ كيلو متر فى الساعة حول نفسها، و٥٣٦٢٤ كيلو متر فى الساعة حول الشمس، وقد انصرف ذهن الأقدمين فى فهم هذه الآية إلى «حركة مستقلة» للجبال يوم القيامة، حيث وقعت هذه الآية (٨٨) ضمن الآيات (٨٢) إلى (٩٠) من سورة النمل التى تكرر فيها ذكر القيامة، ولكن التعبير الصريح فى هذه الآية يتحدث عن «الإنشقاق» فى خلق وحركة الأرض، وليس عما يعترئها من خراب وأحوال يوم القيامة، ويدل على ذلك أيضاً ما جاء فى الآية (٨٦) التى تتحدث عن نعمة خلق الليل والنهار:

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٦] (٣).

جاءت فى سياق آيات القيامة: تذكيراً للناس بنعم الله وفضله فى الدنيا،

(١) يقال: دحا الصبى المدحاة أى دفعها (الوسط).

(٢) تقرر هذه الآية أن جميع الأجسام التى تخضع لجاذبية الأرض مثل الجبال تشترك مع الأرض فى دورتها اليومية حول محورها والسنوية حول الشمس، ... مما يبرهن أن هذا القرآن موحى به من عند الله (المنتخب)

(٣) ونسق العرض فى هذه الجولة (أواخر سورة النمل) ذو طابع خاص، هو المزاجية بين مشاهد الدنيا ومشاهد الآخرة، والانتقال من هذه إلى تلك فى اللحظة المناسبة للتأثر والاعتبار (الظلال).

وحسابهم عليها فى الآخرة، وتكرر الانتقال بين مشاهد الآخرة وآيات الخلق أمر مألوف فى البيان القرآنى لربط الإيمان بالمشاهد المحسوس مع الغيب البعيد.

ز - من تعبير « المشارق » :

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ [الصفافات: ٥] (١).

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾ [المعارج: ٤٠] (٢).

فالمشارك بصيغة الجمع: تعبر عن اختلاف وتوالى المشارق على امتداد الكرة الأرضية نتيجة لدورانها، ولو كانت الأرض ثابتة لكان ثمة مشرق واحد ومغرب واحد - زمانا ومكانا - لكل الأرض.

٣ / ٣ حركة الأرض حول الشمس :

رأينا كيف أن دوران الأرض حول نفسها ينشئ تعاقب الليل والنهار، كما تدور الأرض حول الشمس أيضا دورة كاملة كل عام، وكذلك تفعل بقية الكواكب « مع اختلاف زمن الدورة لكل كوكب »، ولما كان محور الأرض فى دورانها يميل ٢٣٫٥ درجة عن المحور الرأسى فإن الشمس تكون أقرب مايمكن إلى خط الاستواء فى فصلى الربيع والخريف، بينما تكون أقرب إلى مدار السرطان شمالا فى فصل الصيف « صيف النصف الشمالى » وأقرب إلى مدار الجدى جنوبا فى فصل الشتاء، ويتعاقب الفصول بتغير الطول النسبى لليل والنهار كما هو معروف، فى الشتاء يطول الليل وتمتد ساعاته إلى ماكان - فى الصيف - من أوقات النهار، والعكس بالعكس، وتزداد هذه الظاهرة وضوحا كلما اتجهنا صوب المناطق الباردة شمالا، عبرت الآيات القرآنية تعبيرا علميا دقيقا عن هذه الظاهرة فى الآيات :

(١) وللتعبير « المشارق » دلالة أخرى دقيقة فى التعبير عن الواقع فى هذه الأرض التى نعيش عليها كذلك. فالأرض فى دورتها أمام الشمس تتوالى المشارق على بقاعها المختلفة - كما تتوالى المغارب ... وهى حقيقة ماكان يعرفها الناس فى زمان نزول القرآن (الظلال)

(٢) إشارة إلى التعدد اللانهائى لمشارك الأرض ومغاربها ... فالشمس فى كل لحظة غاربة عند نقطة ومشرقة فى نقطة أخرى تقابلها (المنتخب) .

﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي أَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣] (١).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٩].

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٦١].

﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الحديد: ٦].

﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٢٧] (٢).

ونلاحظ أنه لم تكن ثمة وسائل لقياس الوقت فى جزيرة العرب وقت نزول القرآن - كما أن جزيرة العرب لايتراوح فيها طول الليل والنهار تراوحا محسوسا بين الصيف والشتاء.

٣ / ٤ باطن الأرض :

أشار القرآن الكريم - قبل نشأة الجيولوجيا والتعدين بقرون - إلى ما فى داخل الأرض من معادن وثروات وطاقات مسخرة للإنسان خليفة الله فى الأرض، اقرأ قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا

(١) بطول ساعات أحدهما (الشتاء والصيف) وقصرها فى الآخر (المنتخب) حسب الفصول والأمصار .. (الصفوة)

(١) وسواء كان معنى إيلاج الليل فى النهار وإيلاج النهار فى الليل هو أخذ هنا من ذاك وأخذ ذاك من هذا عند دورة الفصول ... فإن القلب يكاد يبصر يد الله وهى تحرك الافلاك (الظلال) .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر: ٢٧].

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ [طه: ٦] (٢).

ولعل ماجاء فى سورة الزلزلة، فى معرض الحديث عما يعترى الأرض من أهوال يوم القيامة، إشارة إلى ما يحمله باطن الأرض العميق من أثقال:

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [الزلزلة: ١، ٢] (٣).

فمن أدرك محمد صلى الله عليه وسلم بما فى قلب الأرض من أثقال، إن غاية ما كانت تعرفه البشرية عما فى باطن الأرض - فى ذلك الزمان - هو ما قد يكون من بحر ماء هنا أو هناك.

٣/٥ الجبال :

من الثابت أن للجبال دورا بالغا فى تثبيت القشرة الأرضية، وكبح مابداخلها من مصهورات وأبخرة؛ وفى موازنة تأثير الوديان وقيعان المحيطات، ولولاها لتعرضت الكرة الأرضية إلى اضطرابات لا يعلم إلا الله مداها أو منتهاها.

تتركب القشرة الأرضية من طبقة صلبة تمتد إلى عمق ٣٠-٤٠ كم، وهذه الطبقة هى التى نعرف عنها الكثير من خلال الدراسات الجيولوجية، ونستثمرها فى تعدين الخامات، وبالقشرة الأرضية طيات وتصدعات تكونت نتيجة الانكماش الشديد للقشرة الأرضية أثناء تجمدها، وتمثل هذه الطيات والتصدعات مناطق عدم استقرار شديدة الحساسية لتحركات المصهورات والأبخرة فى باطن الأرض، وهى مصدر الزلازل ومخارج البراكين، ومن هنا كان بروز الجبال - كامتدادات رأسية ثقيلة - معادلا ومخففا للإجهادات الناتجة عن هذه الطيات، تأمل الإشارة المعجزة إلى هذه التصدعات فى عبارة :

ومن ناحية أخرى فإن دوران الأرض حول نفسها ثم دورانها حول الشمس فى فلك مائل على محور الأرض بكل ماتحمله الأرض من أثقال ومصهورات ومناطق اضطراب، هذا الدوران أيضا كان كفيلا ببث الاضطراب فى هذا الكوكب لولا دور الجبال ككتل موزعة هنا وهناك على امتداد القشرة الأرضية، ولنتأمل الآن تأكيد الذكر الحكيم لدور الجبال فى ترسية الأرض:

﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٥].

﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣١] (١).

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بَعِيرٍ عَمَدٍ تَرْوْنَهَا وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان: ١٠].

الجبال نوعان: «جبال نارية» ارتفعت نتيجة تقبض القشرة الأرضية أثناء تجمدها، فامتدت جذورها - كالأوتاد - بعمق القشرة الأرضية حتى الأعماق المصهورة التى لم تتجمد، فتحول دون انزلاق الطبقات أو انجرافها؛ و«جبال رسوبية» تكونت بالترسيب المتوالى مما تحمله المياه التى كانت تغمر العالم فى الماضى السحيق، فألقت حمولتها الصلبة تدريجيا، وربما كان استخدام القرآن الكريم للفظى «جعل» أحيانا و«لقى» أحيانا أخرى للتعبير عن خلق الجبال تمييزا مقصودا بين هذين النوعين:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [النبا: ٦، ٧].

﴿ وَجَعَلْ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرْ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لَيْنٌ ﴾ [فصلت: ١٠].

(١) ماد الشئ: تحرك واضطرب (الوسيط)، وقال أبو العباس فى قوله تعالى: «أن تميد بكم»، فقال: تحرك بكم وتزلزل، وفى حديث على: فسكنت من الميدان بربوب الجبال (اللسان)، وهى رواسى ذات جذور ممتدة إلى أعماق كبيرة تتناسب مع ارتفاعها، فكانها أوتاد... كما أثبت العلم الحديث أن أسفل الجبال دائما هش خفيف، وأسفل المحيطات توجد المواد ثقيلة الوزن وبذلك تتوزع الأوزان (المنتخب)

(١) ما يدخل فيها من مطر وأموات، وما يخرج منها من معادن ونبات وغير ذلك (الصفوة)

(٢) (طه: ٦) ما تحت الأرض من معادن ومكونات (الصفوة)

(٣) (الزلزلة: ١-٢) وتخرج ما يثقلها من أجساد ومعادن... (الظلال)

﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سَبِيلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣١].

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلْ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلْ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلْ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ نَعْلَمْ بِالْأَكْثَرِ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٦١].

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلْ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلْ فِيهَا زَوْجِينَ لِنَافْسٍ يَنْفُسِي اللَّيْلِ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: ٣].

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِي شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾ [المرسلات: ٢٧].

ونلاحظ هنا أن الآية الأولى تشير إلى امتداد هذه الجبال «النارية» في الأرض كالأوتاد، بينما جاءت الآية الثانية في معرض الحديث عن المراحل الأولية لتكوين الأرض في بداية الخلق.

أما الجبال «الرسوبية» التي تكونت بإلقاء الرواسب فيشار إليها بلفظ «ألقى» في الآيات:

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان: ١٠].

﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٥].

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ [الحجر: ١٩].

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [ق: ٧].

إشارة إلى عملية الترسيب التي كونت ذلك النوع من الجبال.

٣/٦ سماء الأرض:

وصفت السماء التي تعلو كوكب الأرض بأكثر من وصف علمي معجز منها: أنها طباق تملأ الفضاء، وليست مجرد لوحة مستوية أو قبة مرصعة بالنجوم والكواكب

كما كان يتبادر للإنسان البدائي قبل الكشف العلمية، وقد جاءت السماء في مواضع مختلفة للتعبير عن هذه الطباق المتعددة كما في قوله تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣] (١).

﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ [نوح: ١٥].

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ [النبا: ١٢].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٧] (٢).

وقد يقصد بالطباق هنا: طبقات الكون الفسيح بامتداد النجوم في المجرات، والمجرات في الفضاء اللانهائي (٣) وهو ما نرجحه والله أعلم، وقد يقصد به طبقات الغلاف الجوي المحيط بالأرض (٤).

(١) السماوات السبع لا يمكن الجزم بمدلولها، استقاء من نظريات الفلك، فهي قابلة للتعديل والتصحيح، كلما تقدمت الوسائل، ولا يجوز تعليق مدلول الآية بمثل هذه الكشوف... ويكفي أن نعرف أن هناك سبع سموات، وأنها طباق بمعنى أنها طبقات على أبعاد متفاوتة (الظلال).

(٢) الطريق: السبيل يذكر ويؤنث (الصباح)، وفي (اللسان) أطرق عليه الليل: ركب بعضه بعضا (اللسان)، وقد يكون المقصود هنا سبع مدارات فلكية، أو سبع مجموعات نجمية كالمجموعة الشمسية، أو سبع كتل سديمية... (الظلال).

(٣) إن كان المقصود سماء الكون فلعل السماوات السبع هي على الترتيب: ١- الغلاف الجوي للأرض، ٢- الفضاء المحيط بالأرض الذي يسبح فيه القمر مشدودا بجاذبية الأرض وتابعا لها. ٣- فضاء المجموعة الشمسية الذي تسبح فيه الكواكب حول الشمس، ٤- المجال الذي تجرى فيه الشمس بمجموعتها داخل المجرة، ٥- الفضاء الذي تشغله مجرة درب التبانة متحركة في الفضاء الفسيح، ٦- فضاء الكون المرئي بما فيه من آلاف المجرات، ٧- الفضاء اللانهائي الذي لم تزل تنطلق فيه المجرات متباعدة عن بعضها موسعة للكون باطراد إلى ما شاء الله، أو لعلها سبع مجموعات تنتظم فيها آلاف المجرات مما نرى وبما لانرى (المؤلف).

(٤) إن كان المقصود بالطباق طبقات الغلاف الجوي فإنها تختلف عن بعضها البعض في الترتيب وفي تدرج درجة الحرارة بها، أدنى الطبقات هي التروبوسفير، التي تمتد فوق رؤوسنا حتى ارتفاع ١٠-١٢ كيلومترا، وفي هذه الطبقة الأولى تنخفض الحرارة باطراد مع الارتفاع. يعلو هذه الطبقة طبقتان يطلق عليهما مجتمعتين الستراتوسفير: الطبقة الأدنى حتى ارتفاع ٢٠ كيلو مترا تتميز بدرجة حرارة ثابتة بينما تزداد الحرارة مع الارتفاع في الطبقة الأعلى حتى ارتفاع ٤٥-٥٠ كيلو مترا، أما الطبقة الرابعة «الميزوسفير» فتعود فيها الحرارة للانخفاض باطراد حتى ارتفاع ٨٠-٨٥ كيلو مترا، وهنا ينعكس =

سواء كان الغلاف الجوى هو المقصود بالسبع، أو كانت سماء الكون على امتدادها هي المقصودة، وسواء كان الرقم «سبعة» مقصود لذاته أو كان كناية عن التعدد، فإن الحقيقة القرآنية قائمة وماثلة ومحقة: إن كل ما يعلو الأرض من سماء أو سموات إنما هو طبقات فوق طبقات. وصدق الله العظيم الذى وصف هذا التركيب العظيم المحكم «بالبناء»:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بِنَاءً . رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ [النازعات: ٢٧، ٢٨].

﴿وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا﴾ [النبا: ١٢].

ومن الأوصاف الأخرى المعجزة للغلاف الجوى «السماء» وصفه بلفظ «ذات الرجوع» أى ترجع بخار الماء مطرا، وترجع الأجسام بالجاذبية، وترجع الأمواج اللاسلكية بانعكاسها من طبقة الأيونوسفير، كما ترتد منها الأشعة الحمراء فتدفع إلى الأرض ليلا، وترجع بخار الماء من المسطحات المائية مطرا تكثف:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١].

ومن الإعجاز أيضا وصف الغلاف الجوى «بالسقف المحفوظ»: الذى تحفظه الأرض بالجاذبية - وللجبال فى ذلك شأن طبقا لبعض الآراء - ليحفظ هو بدوره أكسجين الحياة؛ وثانى أكسيد الكربون اللازم لعمليات التمثيل الكلوروفيلى وتكوين الغذاء بالنبات؛ وبخار الماء لدورة المطر، ولولا حفظ الغلاف الجوى بالجاذبية لتسرب كل الهواء إلى الفضاء الخارجى، ولما كانت حياة - كما هو الحال فى كثير من الكواكب:

= التدرج الحرارى منذ بداية الطبقة الخامسة «الثرموسفير»، ومن خلال هذه الطبقة الخامسة تبدأ - إذا ارتفعنا قليلا فيها - طبقة جديدة تتميز بتأين كل ما فيها من غازات نتيجة التأثير الشديد - دوغما حائل - للأشعة فوق البنفسجية من الشمس، ويطلق على هذه الطبقة السادسة: الأيونوسفير، وهذه الطبقة أيضا هى التى يبرز فيها تفاعل الأوزون، وبنهاية هذه الطبقة التى تمتد حتى ارتفاع ٥٠٠ كيلو مترا تأخذ الغازات تدريجيا فى الندرة الشديدة إلى الفضاء المطلق، وتسمى هذه الطبقة السابعة: الإكسوسفير (المؤلف).

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢] (١).

الغلاف الجوى كذلك يحول دون تسرب الحرارة من الأرض إلى الفضاء الكونى شديد البرودة حولها، وخلال الغلاف الجوى يتشتت ضوء الشمس ويتوزع، فنرى السماء مضيئة ويعم ضياؤها ربوع الأرض، بينما الفضاء الخارجى مظلم مظلم، ترى فيه الشمس كمصباح بعيد معلق فى ظلمة السماء، ومن آيات الغلاف الجوى للأرض أخيرا أنه يحفظها من الشهب التى تحترق خلاله، ومن الأشعة الكونية التى تهلك الزرع والضرع، وصدق الله تعالى فى قوله: ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾.

وهذا الغلاف الجوى مستمر متصل لا انفراج فيه «إلا ما قد يطرأ عليه بسبب سوء استخدام البيئة كثقب الأوزون»، كما عبر بذلك قوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦] (٢).

ولعل من الإشارات القرآنية إلى هذا الغلاف المتصل أيضا، فى معرض الحديث عن أحداث يوم القيامة، الإشارة إلى كشط السماء، أو انشقاقها، أو انفطارها كما فى الآيات:

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١] (٣).

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١].

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١].

٣/٧ السحاب والمطر:

حدد التعبير القرآنى فى دقة بالغة مراحل نشأة السحاب وسقوط المطر، فيما يعرف باسم الدورة المائية، بصورة تقطع باستحالة أن تكون هذه المفاهيم نابعة من عقل بشر

(١) والسماء تبدأ بالغلاف الجوى الذى يحمى الأرض من الشهب والنيازك والأشعة الكونية، وتحفظ به الأرض بقوة الجاذبية (المنتخب).

(٢) الفرج: الشق بين الشيتين (الوسيط) والخلل بين الشيتين (اللسان).

(٣) كشطت: أزيلت ونزعت من مكانها كما ينزع الجلد عن الشاة (الصفوة).

حين نزول القرآن . يحمل الهواء الجوى بخار الماء المنطلق من المسطحات المائية الشاسعة، محيطات وبحارا وأنهارا، ومن تنفس النبات والحيوان، وتزداد رطوبة الهواء أو تنقص حسب الظروف الحرارية والبيئية، حتى إذا بلغت حد التشبع ظهرت فى صورة ضباب، أو تكثفت فى صورة ندى أو صقيع، ولكنها لا تتجمع لتصير سحباً إلا إذا وجدت أنوية مشحونة بالكهرباء تتجمع حولها وتكاثف، ولا يتسنى ذلك إلا بفعل الرياح : فالرياح هى التى « تثير » نوى التكاثف من سطح الأرض، أو بالاحتكاك بموج البحر أتأمل قوله تعالى فى تأكيد أن الرياح هى التى تثير السحاب بادئ ذى بدء :

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الروم: ٤٨] (١).

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩] (٢).

ومرحلة إثارة السحاب— بتعبير الآيتين كما هى فى الواقع— مرحلة مستقلة تسبق نشره فى السماء وانتقاله من مكان إلى آخر، ثم تأمل الآية :

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [الحجر: ٢٢] (٣).

والآية تحدد دور الرياح فى تجميع « اللواقح » التى هى نوى التكاثف، ولقد فسرها الأقدمون خطأ بأنها تشير إلى حمل حبوب اللقاح للنبات وذلك—وإن كان صحيحا

(١) فتثير سحباً: بما تحمله من بخار الماء المتصاعد من كتلة الماء على الأرض (الظلال).

(٢) تثيرها من البحار (الظلال)

(٣) ولكن السياق هنا يشير إلى أنها لواقح بالماء دون سواه... وليس هناك ذكر ولو من بعيد للإنبيات (الظلال)، سبقت هذه الآية ما وصل إليه العلم... كما لم يعرف العلم إلا فى أوائل القرن الحالى أن الرياح تلقح السحاب بما ينزل بسببه المطر إذ أن نويات التكاثف... تحملها الرياح إلى مناطق إثارة السحاب، وقوام النويات أملاح البحار وما تذروه الرياح من سطح الأرض والأكاسيد والأتربة وكلها لازمة للمطر (المنتخب).

علمياً — ليس المقصود بالآية، التى تربط مباشرة بين التلقيح وبين إنزال المطر من السماء.

وللرياح دور آخر أساسى فى تكوين السحاب المطير، هو تأليف السحاب المشحون بالكهرباء السالبة أو الموجبة، بعضه إلى بعض، فيتجاذب ويتجمع وينمو ليصبح « سحباً ثقالاً » كما فى الآيتين.

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ . وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [الرعد: ١٢، ١٣].

ويلاحظ فى هاتين الآيتين الترتيب الدقيق للأحداث :

(١) الشرارة المضيفة (البرق) .

(٢) اثتلاف السحاب الثقال .

(٣) صوت الرعد .

وتأليف السحاب هذا قد نصت عليه الآية التالية المعجزة :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ [النور: ٤٣] (١).

والسحاب نوعان : نوع يمتد أفقياً « السحاب البساطى الطبقي » وآخر يمتد رأسياً كالجبال « السحاب الركامى » ، لم يدرك البشر ذلك الامتداد الرأسى لجبال السحاب إلا بالرصد بالطائرات وغيرها من وسائل الرصد الجوية الحديثة، ويميز التعبير القرآنى

(١) الركام ما اجتمع من الأشياء وتراكم بعضه فوق بعض (الوسيط)، ووصف السحاب بالجبال الضخمة الكثيفة... كما يبدو لراكب الطائرة... تعبير مصور للحقيقة التى لم يرها الناس، إلا بعد ما ركبوا الطائرات (الظلال)، وإذا لم تكن تلك الطائرات فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم فإنه يكون ذلك دليلاً على أن هذا الكلام من عند الله العليم، كما تسبق هذه الآية ركب العلم، فإنها تتناول مراحل تكوين السحب الركامية وخصائصها... كما أنها وحدها التى تجود بالبرد وتشحن بالكهرباء... وقد يتلاحق حدوث البرق فى سلسلة تكاد تكون متصلة... فيذهب ببصر الراصد... عين ما يحدث للملاحين والطيارين (المنتخب)

— فى بلاغة علمية معجزة للبشر عبر القرون قبل الاكتشافات الحديثة — بين النوعين بتعبيرى :

« يبسطه فى السماء » للنوع الأول فى آية (الروم : ٤٨) وتعبير « يجعله ركاما » للنوع الثانى فى آية (النور : ٤٣) .

تحمل الرياح السحاب إلى أعلى فيبرد بخاره شيئا فشيئا، وذلك بفعل التمدد « بسبب تخلخل الضغط فى طبقات الجو العليا »؛ وكذلك بتأثير الاقتراب من قمم الجبال الشاهقة الباردة، ويتجمد بخار الماء إلى ثلج كما يتجمد الماء المكثف إلى جَمَد، فتنشأ حبات البرد البلورية التى تتردد صعودا وهبوطا بفعل الشحنات الكهربائية وعوامل ميكانيكية، وفى أثناء ذلك تكتسب حبات البرد شحنات سالبة فى بعضها وموجبة فى بعضها الآخر، مما ينتهى بها إلى تجاذب شديد واتحاد، يصحبه تفريغ كهربائى مفاجئ يحدث وهجا شديدا هو « البرق »، وصوت فرقعة هو « الرعد »، وتؤكد آية (النور : ٤٣) أعلاه الارتباط بين تكون البرد وبين شرارة البرق فى السحاب الركامى « .. من برد فيصيب يكاد سنا برقه يخطف بالأبصار » وهو ما أكدته العلم الحديث .

ينمو حبات البرد تثقل إلى الحد الذى يجعلها تسقط إلى الأرض، لتصيب به من يشاء الله، أو تنصهر أثناء هطولها فتصير ماء منهمرا .

ولا يفوتنا هنا أيضا أن نلاحظ دقة التعبير فى نزول الودق « المطر » من داخل السحاب « من خلاله »، وليس من سطحه السفلى المواجه للأرض كما يتبادر لمن لا يعلم .

٣ / ٨ المساء :

كلما تقدم العلم كلما استبان للإنسان حيوية الدور الذى يلعبه الماء فى حياته، وأهميته لمستقبله، وهما عصر التكنولوجيا — كما يقولون — يقف حائرا أمام مشاكل الجفاف والتصحر ومستقبل مصادر المياه، لقد أشار الخالق العليم بإشارات علمية معجزة ومتكررة تتعلق بالماء، فالماء أساس الحياة لكل الكائنات على وجه الأرض، الإنسان والحيوان والنبات، وفى أعماق البحار « الأسماك والنباتات البحرية »، وفى جوف الأرض « البذور والجذور والبكتريا وديدان الأرض »، وفى عنان السماء « الطيور

والحشرات »، فكل العمليات الحيوية داخل هذه الكائنات كالتنفس وتمثيل الغذاء وامتصاصه والتناسل والإخراج — إنما تتم فى وسط مائى أو رطب كما قرر المولى عز وجل :

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] (١) .

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور : ٤٥] (٢) .

المطر من السماء مصدر لكل مصادر المياه فى الأرض فهو مصدر الأنهار ومصدر المياه الجوفية، ومصدر الينابيع، هذه الحقيقة التى لم يعرفها العلم الحديث إلا مؤخرا على يد بليسى عام ١٥٧٠م، سبق القرآن الكريم بها فى الآية :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ٢١] (٣) .

بينما ظل البشر — حتى زمان قريب — يتخبطون فى مصادر المياه الجوفية ومصادر الأنهار، التى ظنوها شيئا منفصلا عن مطر السماء، وचारوا أيضا فى فهم حقيقة التعبير القرآنى، وسادت نظريات هى أقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة القرآنية التى

(١) تقرر (الآية) حقيقة علمية: أن الماء هو المكون الهام فى تركيب الخلايا والحدوث جميع التحولات والتفاعلات، ولكل وظائف الأعضاء (المنتخب)، هذا من أغرب معجزات القرآن، فإن العلم يقرر ذلك حرفيا (المفسر) .

(٢) الآية لم تسبق فقط ركب العلم فى بيان نشوء الإنسان من النطفة بل سبقته كذلك فى بيان أن كل دابة تدب على الأرض خلقت كذلك بطريق التناسل من الحيوانات المنوية ... وكذلك أن الماء قوام تكوين كل كائن حي وأكثر ضرورة من الغذاء وأساس تكوين الدم وكل سوائل الجسم (المنتخب) .

(٣) (النبوع: عين الماء (الوسيط) من: نبع تفجر (اللسان)، ولم تعرف دورة المياه فى الطبيعة إلا حديثا، حيث أن الفكرة التى كانت سائدة قبل ذلك كانت تقول إن ماء العيون والأنهار يتفجر من باطن الأرض آتيا إليه من حفر وآبار فى قيعان البحار (المنتخب)، وقديما قال المفسرون فى تفسير الآية: وهذا دليل على أن ماء العيون من المطر ... قال ابن عباس: ليس فى الأرض ماء إلا نزل من السماء، ولكن عروق فى الأرض تغريه (الصفوة) .

أدركها البشر حديثاً .

المصدر الأول للمياه على وجه الأرض هو ماتكتف فيها عند نشأة الأرض، وظهر على هيئة مسطحات مائية لمحيطات وبحار بدأت بها دورة التبخر والسحاب والمطر وهلم جرا، كما تنطق بذلك آيات سورة النازعات «انظر أيضا موضوع: شكل الأرض» .

﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠، ٣١] .

ومن المعارف التي أشار إليها القرآن الكريم أيضا: استحالة اختلاط مياه البحار بمياه الأنهار عند التقائهما في المصببات، كالتقاء نهر النيل بالبحر الأبيض عند كل من دمياط ورشيد، حيث كان يشاهد^(١) خط فاصل يرى رأى العين بين الماء العذب الحمل بالطمي وبين ماء البحر (الأزرق)؛ أو في أحوال أخرى عند التقاء نهريين مالح وعذب، كالتقاء نهري «الكنج»، و «الجامونا» في مدينة «الله آباد»، والتقاء نهريين يسيران متلاصقين، أحدهما عذب والآخر ملح، بين مدينتي «تشانغام» بينجلاديش و «أركان» ببورما، وكذلك عند التقاء بحرين مالحين مثلما يرى عند التقاء مياه البحر الأحمر بمياه المحيط الهندي عند باب المندب، وترجع هذه الظاهرة إلى خاصية الانتشار الغشائي «الأسموزي» التي تدفع جزئيات الماء العذب إلى الانتشار داخل الماء المالح وليس العكس» عبر السطح الفاصل بينهما «الحاجز أو البرزخ»، كما جاء في الآيات:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣] ^(٢) .

﴿أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَا أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦١] .

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠] .

ثم نوه الخالق العليم بحفظه للماء في هذا الكوكب الأرضي في دورة لا تنقطع:

(١) قبل بناء السد العالي بأسوان .

(٢) البرزخ: الحاجز بين شيئين (الوسيط واللسان)

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠] .

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨] .

وهذه حقيقة قد كشف العلم الحديث مغزاها، فلولو الغلاف الجوى وما فيه من آيات مبهرات «انظر الغلاف الجوى» ودورة السحاب والمطر لضاع الماء في الفضاء ولأصبح كوكب الأرض - ك بعض الكواكب الأخرى - جافا قاحلا، ولولا طبيعة الأرض التي تسمح صخورها بتخزين المياه الجوفية في خزانات شاسعة في باطنها لتسرب الماء وذهب بددا في الأعماق، وفي هذا الصدد أيضا تجدر الإشارة إلى معجزة بقاء ماء البحار والمحيطات دون تجمد إذ يطفو الثلج المتجمد فوقها فيحفظ بقية الماء من التجمد، ويحفظ حياة الأسماك والأحياء البحرية، وتستمر فيه الملاحظة، ويرجع ذلك إلى خاصية وهبها الله الماء - دون سائر المواد الأخرى - أن كثافته تقل بالتجمد «لا تزيد كغيره» أى أن كثافة الثلج أدنى من كثافة الماء السائل .

من حقائق العلوم أن هطول المطر يسبقه - كما أشرنا - تفريغ كهربائي في السحاب مصحوبا بالشرارة المعروفة باسم البرق، هذه الشرارة كانت كفيلا أيضا بإفساد الماء، بتكوينها لحمضى النتروز والنتريك نتيجة لاتحاد أكسجين ونتروجين الجو «إلى ثالث وخامس أكسيد النتروجين»؛ لولا المشيئة الربانية، ولعل ذلك تفصيل لقوله تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ . لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨ - ٧٠] .

والأجاج هو: الذى يلذع الفم بمرارته وملوحته .

ومن ناحية أخرى فإن دورة الماء بين البحار المالحة والبحار فالسحاب فالمطر تفصيل آخر لهذه الآية، فلو لم تتبخر مياه البحار بادیء ذى بدء لصار كل ما على الأرض فى نهاية المطاف ماء أجاجا .

تنبع الأنهار من الجبال، إذ يصطدم بها السحاب الذى تسوقه الرياح فيزداد برودة وينعكس إلى أعلى، حيث يبرد كثيرا بفعل الارتفاع فى طبقة التروبوسفير « أنظر الغلاف الجوى » وبفعل القمم الباردة فتسقط حمولة السحاب مطرا يسيل على سفوح الجبال، وكلما ارتفع الجبل وشمخ كلما تهيأ له أن يكتسى بالثلوج، التى يذوب أذناها أولا بأول ليزود الأنهار بنبع دائم للمياه. تلك الثلوج تكسو الجبال الشامخة، بما فيها الجبال الاستوائية، إلا أن الارتفاع الملائم أو المطلوب لتكوين الثلوج يقل كلما ابتعدنا عن خط الاستواء، فبينما تتجمع الثلوج هنالك ابتداء من ارتفاع خمسة كيلو مترات أو أكثر؛ يقل الارتفاع المطلوب تدريجيا إلى ٤ كيلو مترات عند المدارين ثم إلى ٢ كيلو مترا عند خط عرض ٥٠° شمالا أو جنوبا حتى ينمحي تماما ابتداء من خط عرض ٧٠ حتى القطبين، أرأيت كيف يقترن شموخ الجبال بنبوع الأنهار، اقرأ قوله تعالى مشيرا إلى هذا الاقتران :

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِي شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾ [المرسلات: ٢٧] (١).

وسبح بعظمة الخالق العليم :

﴿ وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

أثبتت البحوث الحديثة باستخدام تلسكوبات دقيقة أن أعماق البحار والمحيطات ليست ساكنة، بل تموج بأمواج وتيارات أظلم وأكثف مما بسطحه، وصدق الله العظيم فى دقة وصف القرآن الكريم للبحر، عندما اتخذته مثلا لظلام العقول الجاحدة الكافرة فى هذه الآية :

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا

(١) «رواسى شامخات»: ثابتات سامقات تتجمع على قممها السحب، وتنحدر منها مساقط الماء العذب... (الظلال)، كشف القرآن عن حكمة وجود الجبال قبل... العلم الحديث (كالأوتاد)، ونعمة أخرى: نشوء السحب فوقها، وهطول الأمطار والثلوج عليها، فتتكون بسبب ذلك الأنهار والعيون... فالجبال مخازن للثلوج والأمطار... فلهذا قرن تعالى بها نعمة المطر، فله ما أبدع أسرار القرآن (الصفوة).

فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور» [النور: ٤٠] (١).

يعزى تكون البحار والمحيطات إلى ماحدث فى قديم الزمان من تغير فى شكل الأرض: من كرة تامة إلى شكل بيضاوى «دحوها» صحبه انفصال القارات ثم تباعدها وامتلاء مابينها بالمياه، وتتفق هذه الفكرة مع الآية التى تربط بين دحو الأرض وانتشار المسطحات المائية:

﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ [النازعات: ٣٠، ٣١].

ويستخرج اللؤلؤ من البحار المالحة منذ القدم، أما المياه العذبة فلم يكتشف فيها اللؤلؤ وغيره من الأحجار الكريمة إلا حديثا، ليتأكد البشر من صدق ماقرره الرحي القرآنى فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا شَرَابٌ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِّتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [فاطر: ١٢] (٢).

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ١٩ - ٢٢].

يوجد اللؤلؤ فى أنهار عذبة فى كل من إنجلترا واسكتلندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا وغيرها، كما يستخرج الماس من رواسب بعض الأنهار الجافة المعروفة بالبرقة، كما يوجد الياقوت فى الرواسب النهرية فى «موجوك» فى بورما العليا، وكذلك فى

(١) تجمع هذه الآية أهم ظواهر عواصف البحر، فالمعروف أن عواصف البحار العميقة أو المحيطات تنطلق فيها أمواج مختلفة الطول أو السعة أو الارتفاع بحيث يبدو الموج منطلقا فى طبقات بعضها فوق بعض، فيحجب ضياء الشمس لما تثيره هذه العواصف من سحب سميكة تحجب ضوء الشمس ويخيم معها الظلام فى سلسلة من عمليات الإعتام... ولما كانت نشأة الرسول ﷺ فى البادية، فإن ورود الدقائق العلمية على لسانه وحيا من الله دليل على أن القرآن الكريم من عند الله، وعلى أنه معجزة هذا الرسول الكريم (المنتخب).

(٢) بدهى أن بعض الحلى من البحر المالح، وقد يستبعد بعض الناس أن تكون المياه العذبة مصدرا للحلى أيضا ولكن العلم والواقع أثبتا غير ذلك؛ فاللؤلؤ يستخرج من صدفيات الأنهار فى المياه العذبة، والمعادن العالية الصلابة كالماس... فى رواسب الأنهار الجافة المعروفة باسم البرقة... والياقوت... والأحجار شبه الكريمة للزينة: التوباز،... والزركون... يقارب خواص الماس (المنتخب).

سيام بالهند وفى سرى لانكا، كما يوجد التوباز فى الرواسب النهرية بالبرازيل والأورال وسيبيريا، وكذلك الزركون الذى تستخدم بعض رواسبه النهرية كأحجار كريمة.

٣ / ٩١ الزراعة :

من الحقائق الجيولوجية الدقيقة أن التربة الطينية الساكنة، إذا ما ابتلت بالماء تمددت إلى أعلى وتشققت، فيهتز أسفلها ويتحرك بجذور النبات وشعيراته، فانظر الدقة المعجزة فى تطابق ذلك مع وصف الآية :

﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج : ٥] (١).

وما كان لدى الأقدمين وسائل لمراقبة التربة، وما يطرأ عليها من تغيرات دقيقة. الطين جسم مسامى من حبيبات مادة « الطفل » مع نسب مختلفة من حبيبات الرمل والجير وغيرها، وعند رى الأرض يتخلل الماء المسام ليملاها، حتى إذا فاض عن حاجتها اتسعت المسام بالماء الزائد فتمدت التربة من أسفل، فاهتزت اهتزازا لاتراه العين المجردة، وتشققت. تهتز الأرض كذلك بحركة الجذور والشعيرات الجذرية فى كل اتجاه سعيا وراء الماء الذى جاءها بعد همود، كما تزداد حركة دودة الأرض وتتكاثر، ودودة الأرض هذه قد تصل أعدادها فى التربة الى ٥٠٠٠٠ فى الفدان، ولها دور حيوى فى تهوية التربة وفتح مسامها - وكذلك فى دورة النترجين بين الجو والتربة « انظر دورات الحياة »، كل ذلك يؤدى إلى اهتزاز التربة ونموها، ثم إلى نبت جديد.

تختلف التربة الزراعية فى مكوناتها من حبيبات مختلفة وما بها من مواد عضوية وكائنات حية دقيقة تؤثر جميعا فى قابلية الأرض للزراعة وفى جودة محصولها، وتختلف فى ذلك من موضع إلى موضع، وهذا ماقرره القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾

(١) « اهتزت وربت » وهى حركة عمجية سجلها القرآن قبل أن تسجلها الملاحظة العلمية بمئات الاعوام، فالتربة الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز وهى تتشرب الماء وتنتفخ فتربو... (الظلال).

يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴿ (الرعد : ٤) (١).

كما نوه القرآن بمزايا الأرض الزراعية المرتفعة « الروابى » التى كشفها العلم الحديث؛ حيث تزداد انتاجيتها لبعدها عن المياه الجوفية مما يضاعف شعيرات الجذور الماصة للغذاء :

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أَكْثُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٥] (٢).

وكذلك قد ثبت علميا أن القمح وغيره من الحبوب يتعرض للتلف فى الهواء الجوى عند تخزينه طويلا، وذلك بفعل الرطوبة وغيرها، وقد وجد أن أنجح الوسائل لحفظه إبقاؤه على السنبال، وهو ماقرره الهادى العليم فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام، والذى أوحى إليه الله ذلك، عندما وكل إليه أمر الزراعة فى مصر - تحسبا لسنين جدد النيل المعروفة « بسنى يوسف » :

﴿ قَالَ تَرْغُونَ سَعٍ سِنِينَ دَابَّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ [يوسف : ٤٧] (٣).

(١) تشير الآية إلى علوم الأراضى والبيئة وأثرها على صفات النبات فمن المعروف علميا أن التربة الزراعية تتكون من حبيبات معدنية مختلفة المصدر والحجم والترتيب، ومن الماء... والهواء... ومن المادة العضوية التى يرجع وجودها إلى بقايا النبات والأحياء الأخرى التى توجد على سطح التربة أو فى داخلها، فضلا عن ذلك فتوجد ملايين الكائنات الحية الدقيقة لا ترى بالعين المجردة لصغر حجمها وتختلف أعدادها من عشرات الملايين إلى مئاتها فى كل جرام من التربة السطحية الزراعية... فالأرض كما يقول الزراعيون بحق تختلف من شبر إلى شبر (المنتخب).

(٢) فى تعبير القرآن الكريم بكلمة ربوة وهى الأرض الخصبة المرتفعة إشارة إلى ما كشفه العلم الحديث، لأنها بارتفاعها تبعد عن المياه الجوفية فيغوص المجموع الجذرى فى التربة - من غير ماء يضره - ويتضاعف عدد الشعيرات الماصة فيتضاعف المحصول... (المنتخب).

(٣) تتفق مع ما وصل إليه العلم أن ذلك وقاية له من التلف بالعوامل الجوية والآفات، وفوق ذلك يبقيه محافظا على محتوياته الغذائية كاملة (المنتخب).

الفصل الرابع

فى الكائنات الحية

١ / ٤ عالم الحيوان :

أثبتت دراسات علم الحيوان صحة ما أشار إليه القرآن، من أن مجتمعات الحيوانات تسودها أسس ونظم حياة- كمجتمعات البشر، حتى إن علم الحيوان يقسم المملكة الحيوانية إلى رتب، والرتب إلى فصائل ثم إلى أجناس ثم إلى أنواع، وما زال العلم يكشف المزيد من هذه الأمم برا وبحرا وجوا، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٨] (١).

ومن ناحية أخرى نبه القرآن الكريم إلى أنه- بجانب ماكان معروفا من الحيوانات التى تمشى على أربع أو على رجلين أو تزحف على بطنها- فهناك ثمة أنواع أخرى قد يهتدى الإنسان لتركيبها فيما بعد، كالحشرات التى تمشى على ستة أرجل كالذباب والنمل والنحل والبعوض، أو على ثمان كالعنكبوت وغيرها كثير، مما هو أصغر وأدق، وهو ما لم يتيسر إدراكه إلا بالوسائل الحديثة كالفحص المجهرى بالمجاهر البصرية والمجهر الإلكتروني، تدبر قوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور : ٤٥] .

والمأمل فى سلوك الحيوانات والطيور والأسماك والحشرات وغيرها يرى كيف ألهمها الله إلى التعايش والتفاعل مع غيرها من الكائنات؛ وإلى التكيف مع البيئة لتبقى وتتكاثر، بل يرى أيضا كيف ألهمها الله التخاطب فيما بينها بإصدار أصوات

(١) وهى حقيقة هائلة، لا تستطيع ملاحظتهم وحدها حينذاك - حيث لم يكن لهم علم منظم - أن تشهد بها: حقيقة تجمع الحيوان والطيور والحشرات من حولهم فى أم (الظلال)، تنتظم الكائنات الحية فى مجموعات يختص كل منها بصفات تكوينية ووظيفية وطابع مميزة... وهذا ما يكشفه علم التصنيف كلما تعمق فى دراسة نوع منها (المنتخب)

أو ذبذبات؛ أمكن تسجيل بعضها بقدر ما تتيحه أجهزة قياس الذبذبات؛ ثم الاجتهاد فى فك رموزها وتفسير معانيها:

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه: ٥٠] (١).

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ [الأعلى: ٣، ٢] (٢).

ويتجلى هدى الله لكائناته، وإعجاز قرآنه فى إشاراتِه عند التأمل فى عالم النمل، وعالم النحل.

٤/ ٢ النمل :

توصل علماء الحيوان إلى معرفة الكثير من أوجه الشبه بين سلوك النمل وسلوك الجماعات الإنسانية: التعاون فى بناء البيوت وفى شق الأنفاق؛ وفى ادخار الطعام فى الصيف تحسباً لفصل الشتاء، قضم طرف البذور حتى لا تعاود الإنبيات وتتلف لو تسرب إليها مطر الشتاء، ثم اللغة والتخاطب، التى كشفتها تجارب حديثة، حيث راقب أحد العلماء مجموعة من النمل عثرت إحداها على جثة ذبابة، فأخذت تدور حولها وتتخسّسها وتحاول رفعها لعدة دقائق، ثم تركتها وسارت بعيداً حيث قابلت أكثر من نملة، كانت تتوقف عندها كأنها تحدثها، وفى آخر المطاف عادت ومعها مجموعة حاشدة من النمل، تعاونت فى رفع الذبابة من مكانها وحملها بعيداً إلى مساكنهم. قال تعالى:

﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٨، ١٩].

ذلك ماكان من شأن سيدنا سليمان الذى علمه الله كيف يفهم لغة كثير من

الكائنات:

(١) كل شئ مخلوق ومعه الاهتداء الطبيعى الفطرى للوظيفة التى خلق لها (الظلال)، أودع الله سبحانه وتعالى فى كل شئ صفاته الخاصة التى تؤهله لأداء وظيفته التى خلق لها فى هذه الحياة (المنتخب)

(٢) وهذه الحقيقة الكبرى ماثلة فى كل شئ الذرة... الخلية الحية... الكائنات الحية... المجموعة الشمسية (الظلال)، فسوى خلقه، وقدر... تقديرا مناسباً للحكمة، ومؤدياً للأغراض التى خلقه من

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِّن كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [النمل: ١٦].

٤/ ٣ النحل :

حكى القرآن عن نظامه الدقيق وعمله الدءوب، ودورة غذائه على مختلف النباتات، ليخرج العسل أنواعاً وأنواعاً، كما أشار إلى إلهام المولى تعالى للنحل أن تجمع الرحيق من مختلف الأزهار والثمار، ثم تحوله فى داخلها الى عسل مختلف لونه وطعمه، ليخرج من باطنها سائغاً له فوائد جمّة، وبه شفاء كثير من الأمراض، وهو ما عرفه الإنسان - بعد ذلك - بالدراسة الدقيقة والمتابعة المتأنية والبحوث المفصلة حول حياة النحل وإنتاج العسل (انظر أيضاً: عسل النحل)، كما كشف القرآن عن تنوع مساكن النحل، والتى بينتها الحفريات القديمة: فى الجبال؛ وفى جذوع الأشجار الجوفاء قبل ظهور الإنسان، ثم المناحل التى صنعها الإنسان، كل ذلك جمعته الآيتان التاليتان فى كلمات وجيزة مركزة:

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

تشير هذه الآية الثانية أيضاً إلى عجيبة من عجائب النحل - بهدى المولى سبحانه وتعالى - والتى بينتها الدراسات، ألا وهى المسافات الشاسعة التى تقطعها النحلة بعيداً عن الخلية بحثاً عن مصادر الرحيق، دون أن تضل الطريق - ذهاباً أو إياباً، واهتدائها إلى تلك المصادر المناسبة بالنظر وبالشّم وبالذوق، ثم تبادل النحل المعلومات عن تلك المصادر: بالتخاطب الصوتى وبالرقص الذى تحمل كل حركة فيه دلالة معينة، تنبئ عن نوع المصدر واتجاهه وبعده عن المكان.

٤/ ٤ منابع اللبن :

تأمل إعجاز الدقة فى الوصف الفسيولوجى والتشريحي لمنبع اللبن فى الأنعام، كالأبقار والجاموس، والتى أكدها العلم بعد قرون عديدة من التنزيل الحكيم، إذ تتوزع نواتج الهضم فى الأنعام بين: الدم إلى العروق، واللبن إلى الضروع، والروث إلى

المخرج، وكان ذلك أيضا قبل اكتشاف كيفية التمثيل الغذائي والدورة الدموية، بقرون عديدة:

﴿وَأَن لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لِّبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦] (١).

والفرث: بقايا الطعام في كرش الأنعام.

وتأمل أيضا إشارة القرآن ثم إشادة المصطفى ﷺ بفضّل اللبن ومنتجاته، كمصدر أساسي عظيم للتغذية؛ حتى يكاد يطلق عليه اسم: «الغذاء الكامل»

قال*: (من سقاه الله لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزودنا منه، فإنني لا أعلم ما يجزئ من الطعام والشراب غيره) (أبو داود وابن ماجة والترمذى وأحمد).

وقال أيضا: (عليكم بألبان البقر فإنها بركة) (أحمد).

وجاء أيضا في سورة المؤمنون (في مثل آية النحل):

﴿وَأَن لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١].

٤ / ٥ زوجية الكائنات الحية :

كشف المجهر الإلكتروني أن كل الكائنات الحية - مهما دقت - أزواج، بل إن المكونات الحيوية - على مستوى الخلية أو أدنى - أزواج، فالكروموسومات التي تحمل الصفات الوراثية بالخلية ما هي إلا أزواج من الشرائط التي تتوزع عليها الأحماض الأمينية، والنطفة «الأمشاج» خليط من بويضة وحيوان منوي، والحيوانات المنوية نوعان: أحدهما يحمل الصفات الوراثية المذكرة والآخر الصفات المؤنثة، ومسببات الأمراض من ميكروبات وفيروسات وبكتيريا لكل منها أجسام مضادة:

(١) الحقيقة العلمية التي يذكرها القرآن عن خروج اللبن من بين فرث ودم لم تكن معروفة للبشر، وما كان لبشر في ذلك العهد ليتصورها فضلا أن يقررها بهذه الدقة العلمية الكاملة... ووجود حقيقة من نوع هذه الحقيقة يكفي وحده لإثبات الوحي من الله بهذا القرآن (الظلال)، توجد في ضروع الماشية غدد خاصة لإفراز اللبن تمدها الأوعية الشريانية بخلاصة مكونة من الدم، والكيلوز وهو خلاصة الغذاء المهضوم، وكلاهما غير مستساغ طعما، ثم تقوم الغدد اللبنية باستخلاص العناصر اللازمة لتكوين اللبن... (المنتخب).

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

وليس عالم الحيوان وحده أزواج، بل عالم النبات كله أزواج كذلك؛ بينما لم تعرف العرب وقت نزول القرآن من أزواج النبات سوى النخيل، ولم يعرف البشر إلا بعد اكتشاف المجاهر أن للنباتات كغيرها من الكائنات الحية: أعضاء تذكير (السدات) وأعضاء تأنيث (المبيض)، وأن الرياح وغيرها من العوامل تحمل حبوب اللقاح إلى الجنس المخالف ليتم التكاثر، كما جاء في الآية السابقة وفي الآية التالية:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣] (١).

وثبت بذلك إعجاز جديد للقرآن الكريم الذي أكد زوجية كل الكائنات.

(١) حقيقة لم تعرف للبشر عن طريق علمهم وبحسبهم إلا قريبا: هي أن كل الأحياء وأولها النبات تتألف من ذكر وأنثى، حتى النباتات التي كان مظهرها أن ليس من جنسها ذكور تبين أنها تحمل في ذاتها الزوج الآخر، فتتضمن أعضاء التذكير والتأنيث مجتمعة في زهرة، أو متفرقة في العود (الظلال) النباتات الزهرية المثمرة جميعها تنتج من تزاوج عناصر الذكورة والأنوثة سواء أكانت تلك العناصر في زهرة واحدة أو في زهرتين مختلفتين (المنتخب)

الفصل الخامس

فى خلق الإنسان

٥ / ١ الوراثة :

تحدد صفات الخلية الحية بما تحمله من كروموسومات، والكروموسومات بناء من البروتينات والأحماض الأمينية الأربعة : أدينين، ثيامين، جوانين، سيتوزين مرتبة فى الفراغ على هيئة شريطين حلزونيين ملتفين حول بعضهما، وتحمل الكروموسومات الشفرة التى توجه نشاط الخلية وانقسامها وما إلى ذلك، تبعا لترتيب الأحماض الأمينية على امتداد الشريطين فى الفراغ، ومن المعروف أن الجنين يتكون من اتحاد خلية واحدة من الذكر (الحيوان المنوى) و خلية واحدة من الأنثى (البويضة)، ومن هنا فإن الصفات الوراثية تتحدد بكل من كروموسومات الأب وكروموسومات الأم، ٥٠٪ لكل منهما، ويتم ذلك ابتداء من النطفة الأولى التى تجمع بين الحيوان المنوى والبويضة : النطفة الأمشاج أى الخليط، والمشيح : كل شيئين مختلطين، حيث تتشكل الجينات للمخلوق الجديد مصداقا للآية :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢]،

وفى الحديث أيضا :

« أن يهوديا مر برسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه فقالت قريش : يا يهودى إن هذا يزعم أنه نبي، فقال : لأسأله عن شىء لا يعلمه إلا نبي، فقال : يا محمد مم يخلق الانسان؟ فقال رسول الله ﷺ : يا يهودى من كل نطفة الرجل ومن نطفة المرأة » (أحمد)

ومن ناحية أخرى فإن السائل المنوى فى حد ذاته أمشاج من عدة مكونات : الحيوانات المنوية من الخصيتين، وإفراز الحويصلات المنوية، وسائل البروستاتا، وإفرازات غدد كوبر وغدد ليترى، وسرى بعد ذلك آية أخرى من آيات الإعجاز فى القرآن بإشارته إلى أن جنس المولود إنما يتحدد بنوع الحيوان المنوى الذى يصيب البويضة .

وهناك صفات وراثية قد لا تظهر في الجيل الأول من الأبناء، ثم تظهر بعد جيلين أو ثلاث يطلق عليها الصفات الوراثية المتنحية، وقد هدى الله نبيه ﷺ إلى ذلك :

(أن رجلا من بنى فزارة جاء إلى النبي ﷺ يعرض نفى ولده، لأن امرأته ولدت غلاما أسود، فقال ﷺ : هل لك من إبل؟ قال : نعم، قال : فما ألوانها؟ قال : أحمر، فقال ﷺ : هل فيها من أورك (أى أسود) قال : إن فيها أورك، قال : فأنى لها ذلك؟ قال : عسى أن يكون نزعه عرق، قال : فهذا عسى أن يكون نزعه عرق .

٥ / ٢ المنى :

أشار القرآن الكريم إلى مصدر المنى في جسم الانسان إشارة لم يفهما الأقدمون، إلى أن قدمت المعارف الطبية الحديثة بيانا شافيا لها، جاء في الذكر الحكيم :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [الطارق : ٥ - ٧] (١).

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

وبيان ذلك أن الخصيتين (وكذلك مبيضا الأنثى) تنشآن في الجنين بين الخلايا الغضروفية المكونة لعظام العمود الفقري أى « الصلب »، وتلك المكونة للمصدر « الترائب » (انظر : تطور الجنين)، وذلك قبل نزول الخصيتين إلى موضعهما المعتاد في الشهر السابع، وتظل الخصيتان تستمدان الماء والغذاء من الشريان المغذى لهما، المتفرع من الشريان الأورطى بحذاء الشريان الكلوى، كما يتحكم في نشاطهما : العصب الصدرى العاشر الذى ينبع من النخاع بين الضلع العاشر والحادى عشر، وقد فسر الأقدمون « الصلب والترائب » خطأ على أنها صلب الرجل وترائب المرأة، ولو

(١) الصلب فقار الظهر (الوسيط)، وكل شئ من الظهر فيه فقار فذلك الصلب (اللسان)، والترائب عظام الصدر مما يلى الترقوتين (الوسيط)، الدراسات الجينية الحديثة أن نواة الجهاز التناسلى والجهاز البولى في الجنين تظهر بين الخلايا الغضروفية المكونة لعظام العمود الفقري وتلك المكونة لعظام الصدر، وتبقى الكلى في مكانها وتنزل الخصية إلى مكانها الطبيعى في الصفن عند الولادة ... الشريان الذى يغذيها بالدم ... كما أن العصب الذى ينقل الإحساس إليها يساعدها على إنتاج الحيوانات المنوية وما يصاحبها من سائل ... وواضح من ذلك أن الأعضاء التناسلية وما يغذيها من أعصاب وأوعية دموية تنشأ في موضع في الجسم بين الصلب والترائب (المنتخب)

كان الأمر كذلك لكان التعبير : « من الصلب ومن الترائب » وليس « من بين الصلب والترائب » .

٥ / ٣ جنس الجنين :

بالسائل المنوى عشرات الملايين من الحيوانات المنوية، وهذه الكائنات خلايا وحيدة متماثلة كل التماثل في كروموسوماتها الأربع والعشرين عدا واحدا : هو الكروموسوم المحدد للجنس، وهو إما مذكر يرمز له بالرمز Y أو مؤنث يرمز له بالرمز X، أما بويضة الأنثى فهي الأخرى خلية وحيدة، كروموسوماتها ثلاث وعشرون إلى جانب الكروموسوم الأخير المحدد للجنس وهو دائما مؤنث X . عند التقاء الذكر بالأنثى تتدافع ملايين الحيوانات المنوية نحو البويضة، والحيوانات المنوية المذكرة Y أكثر حيوية وسرعة من المؤنثة ، فإذا سبقت كان الحمل ذكرا، وإلا اجتمعت الصفات المؤنثة مع الصفات المؤنثة للحيوان المنوى X فكان الحمل أنثى، ومن هنا أثبت علم الوراثة الحديث أن جنس المولود إنما يحدده في المقام الأول الحيوان المنوى، ويتفق ذلك مع سياق الآية التى ربطت بين المنى وبين جنس المولود، بشكل يؤكد إعجازها .

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى . مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾ [النجم : ٤٥ ، ٤٦] (١) .

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يَمْنَى . ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴾ (فَجَعَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) [القيامة : ٣٧ - ٣٩] .

كما رأينا : تبدأ الحياة بالتقاء بويضة وحيوان منوى، تحمل الأنثى في كل دورة شهرية بويضة جديدة صالحة للإخصاب بالسائل المنوى، الذى يضم في القذفة الواحدة عشرات الملايين من الحيوانات المنوية التى قد يصل عددها إلى ٣٥٠ مليوناً، ومن كل هذه الملايين لا ينجح إلا واحد فقط فى إخصاب البويضة، وهنا نجد روعة الدقة العلمية فى اختيار القرآن لتعبير « نطفة » من منى يمنى، فالنطفة مقدار ضئيل للغاية (النطفة لغة : القطارة والقليل من الماء، ونطف الماء : قطر) من ذلك الماء - وليس كل الماء أو معظمه الذى يقوم بالإخصاب، كما عبرت بذلك الآيات، وأكد ذلك أيضا - بعلم من المولى عز وجل - المصطفى ﷺ فى حديثه :

(١) النطفة : القليل من الماء (اللسان)، ونطف الماء : قطر، والقربة تنطف أى تقطر (الصحاح) والنطفة من معانيها القطرة (الوسيط)

(ما من كل الماء يكون الولد ، وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء) (مسلم)
ومن ناحية أخرى فإن ارتباط جنس المولود بحيوان معين ضمن ملايين الحيوانات
يقطع باستحالة التنبؤ - فضلا عن التحكم - في جنس نطفة تحملها أنثى ، كما ثبت
أن جنس المولود الجديد لا يتحدد ولا يظهر قبل ستة إلى سبع أسابيع ، مما يؤكد عجز
العلم من جهة ، وإعجاز قدرة الله تعالى ، الذي خص نفسه بمعرفة ما تغيض الأرحام ،
كما جاء في أكثر من آية :

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾
[الرعد : ٨] .

﴿ وَنَقَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾ [الحج : ٥] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا
تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا
بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر :
١١] .

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ
إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذُنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٧] .

٥ / ٤ تطور الجنين :

من أبلغ آيات الله المبهرات في كتابه الكريم ذلك الوصف التشريحي الدقيق
لمراحل تكون الجنين منذ كان نطفة ، تطورت إلى علقة ثم إلى مضغة مخلقة وغير
مخلقة ، ثم نشأت فيها العظام وكسيت لحما ، حتى بدايات الحركة والحياة قبل
الخروج إلى العالم ، وكذلك ذكر ما يغلف الجنين من أغشية ثلاث : وهي ما تعرف
بالغشاء الأمنيوني ثم الغشاء المشيمي ثم الغشاء الساقط ، أنى لأمر لم تعرف شيئا من
علم التشريح ولم تملك زمامه لقرون طوال أن تدرك مغزى ما أنبأها به العليم الحكيم .
ولنبداً القصة من أولها : في منتصف كل دورة شهرية يفرز مبيض الأنثى خلية
واحدة هي البويضة التي اكتمل نموها ، فتدفعها إلى قناة فالوب ، حيث يتاح لها - في

الظروف الملائمة أن يصيبها حيوان منوى (وهو الآخر خلية وحيدة) لها رأس وذنب
يتعلق في جدار البويضة وينشب فيها وهنا تندفع البويضة الملقحة (خليط البويضة
والحيوان المنوى) إلى داخل الرحم ، حيث « تتعلق » بجداره بواسطة خلايا « أكالة » ،
مصدقا لقوله تعالى في أول ما نزل من القرآن :

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق : ٢] (١) .

والعلق لغة : كل ما علق ، وعلق بالشيء علقا وعلقه : نشب فيه ، ورغم ذلك لم
يدرك المفسرون القدماء حقيقة الحيوان المنوى « المتعلق » بجدار البويضة ، ليتكون منه
الجنين « المتعلق » هو الآخر بجدار الرحم ، فصرفوا المعنى إلى أن العلقة كناية عن الدم
المتخثر « ربما لما كان يشاهد في حالات الإجهاض المبكر » ثم عبرت الآيات بوضوح
عن كون العلقة مرحلة محددة من مراحل نشأة الجنين ، كما جاء في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ
عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لَنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ
يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ
كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج : ٥] (٢) .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾
[المؤمنون : ١٣ ، ١٤] (٣) .

(١) العلق : كل ما علق (الوسيط) ، والعلقه : دودة في الماء تمص الدم (الصساح) ، العلقه الدودة
الصغيرة ، وقد أثبت الطب الحديث أن المنى محتوى على حيوانات وديدان صغيرة لا ترى بالعين وإنما
بالمجهر الدقيق وأن لها رأسا وذنباً (الصفوة)

(٢) المضغة : القطعة الصغيرة من اللحم (الوسيط) ، مخلقة : قد بدا خلقها ، وغير مخلقة لم تصور
(اللسان) حيوان واحد هو الذى يلحق البويضة ... المضغة ، وهي قطعة من دم غليظ لا تحمل سمة ولا
شكلا ثم تتخلق فتتخذ شكلها بتحولها إلى هيكل عظمي يكسى باللحم (الظلال)

(٣) هنا يقف الإنسان مدهوشا أمام ما كشف عنه القرآن ... لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيرا بعد تقدم
علم الأجنة التشريحي ... خلايا العظم غير خلايا اللحم ، وقد ثبت أن خلايا العظم هي التي تتكون
أولا في الجنين ، ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظم وتمازج الهيكل
العظمي ... (الظلال)

يستمر نمو الجنين في قراره المكين إلى الوقت المعلوم، يسبح طوال ذلك في سائل مائي به كل السكريات والبروتينات والأملاح غير العضوية التي يحتاجها، يحفظ السائل غشاء متين هو الغشاء الأمنيوني، ويتلقى السائل الأمنيوني غذاءه من الأم عن طريق طبقة ثانية هي غشاء المشيمة (الذي كان بادئ الأمر: جدار البويضة الملقحة الذي تعلق بجدار الرحم ثم ظل ينمو بنمو الجنين)، يقوم غشاء المشيمة بشكل انتقائي بنقل الأغذية والأكسجين من جدار الرحم إلى السائل الأمنيوني، كما يلفظ فضلات الجنين كالبولينا وثاني أكسيد الكربون، أما الغشاء الثالث فهو الغشاء المبطن للجدار الداخلي للرحم (الغشاء الساقط) وقد تضخم إلى غشاء اسفنجي امتلأ بالدم الذي يخدم العمليات الحيوية للجنين، هذه إذن ظلمات ثلاث تحتضن الجنين وتمده بما يحتاجه وتخلصه من الفضلات فينمو فيها وبها خلقا من بعد خلق، وقد تكون الظلمات الثلاث هي :

١ - المبيض الذي يخزن بويضات الأنثى إلى حين انطلاقها.

٢ - قناة فالوب التي يتم فيها التلقيح - بمشيئة الله - وبداية الحمل، ثم :

٣ - الرحم الذي ينمو فيه الجنين حتى يرى النور.

وصدق المولى عز وجل من قائل ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦] (١).

ومن السلف وبعض المفسرين من رأى المقصود بالظلمات الثلاث : جدار البطن والرحم والمشيمة، إلا أن ما ذكرناه من أغشية أو مواضع هي المتعلقة فعلا بالجنين وتطوره خلقا بعد خلق، ثم ينتهى دورها بخروج المولود إلى النور.

(١) اختلفت الآراء في تحديد الظلمات الثلاث بين : ١- البطن والرحم والمشيمة (التي يقصد بها كل ما يغلف الجنين بصفة عامة)، ٢- الرحم والسلى والرحل، ٣- البطن والظهر والرحم، ٤- المبيض وقناة فالوب والرحم، والآخر هو الأرجح لأنها ثلاث متفرقات في أماكن مختلفة (وفي مراحل مختلفة لنشأة الجنين - المؤلف) أما الآراء الأخرى فإنها تشير في الواقع إلى ظلمة واحدة في مكان واحد تحيط به طبقات متعددة، ولعل الخالق العظيم قد أومأ في كتابه إلى هذه الحقيقة العلمية في زمن لم يكن الناس قد اكتشفوا فيه بويضة الثدييات ومسلكها... (المنتخب)

منذ اللحظة الأولى لتلقيح البويضة تبدأ الخلية (الخليط) في النمو عن طريق سلسلة مستمرة من الانقسامات، ويستمر نمو العلقه - التي لا ترى بالعين في بدايتها - إلى أن تتخذ شكل قطعة من اللحم الممضوغ، والتي يعبر عنها أبلغ تعبير لفظ «مضغة»، ثم رويدا رويدا تأخذ المضغة في التشكل وفق نظام معقد مبهر، لكل خلية فيه وظيفة محددة ودور معلوم، وهنا تتضح معالم أعضاء الجسم شيئا فشيئا، وذلك وجه لفهم الفرق بين المضغة «المخلقة» و«غير المخلقة»، وقد يفهم الفرق بوجه آخر - وذلك على مستوى الخلايا - فالخلايا نوعان : منها ما يساهم في تكوين أعضاء الجسم الداخلية والخارجية المعينة - أى أنها «تخلق» لوظيفة محددة، ومنها ما يظل منذ البداية ثم طوال حياة الإنسان، خلايا غير متميزة تتجدد باستمرار لتلبى احتياجات الجسم عند الجروح أو الكسور فتصبح خلايا دم أو عضلات أو غيرها.

ثم يستمر نمو الجنين على ثلاثة محاور: الخلايا الخارجية تتحول إلى «الجلد والجهاز العصبى»، والخلايا الوسطى تتحول إلى «عظام»، تبدأ كمادة غضروفية تترسب حولها مادة العظم، ثم تكسى باللحم: «فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما»، أما الخلايا الداخلية فتتحول إلى عضلات وأوعية وأحشاء داخلية.

تحدد المعالم الكاملة للجنين في نهاية الأسبوع السادس، كما يكتمل تركيب المخ بأجزائه ومعالم الجهاز الهضمي، وكذلك معالم الوجه كالعينين والأنف والأذنين، ومعالم الأطراف من يدين ورجلين وأصابعهما، وجنس الجنين ذكر أم أنثى.

هذه هي الأطوار التي يمر بها الجنين كما فصلتها الآيات السابقة، وكما أجمالها قوله الحق تعالى :

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤] (١).

(١) والذي عليه أكثر المفسرين أنها الأطوار الجنينية من النطفة إلى العلقه... ويمكن أن يكون مدلولها ما يقوله علم الأجنة... في أول أمره يشبه (الجنين) حيوان الخلية الواحدة ثم المتعدد الخلايا ثم شكل حيوان مائي... ثم ثديي... الشكل الإنساني، وهذا أبعد من إدراك قوم نوح، فقد كشف هذا حديثا جدا... وقد تكون لها مدلولات أخرى لم تكشف للعلم بعد... ولا نقيدها (الظلال).

الروح كيان يميز الحى عن الميت ولا يجادل فى وجودها أحد ولكن ما هو ذلك الروح، الذى يجعل القلب ينبض تلقائيا، وهو بعد مضغعة وجنين فى ظلمات الرحم، ويجعل المخ يعمل ويتلقى الرسائل ثم يلقى الأوامر الى كل خلية من خلايا الجسم فى نظام رائع متشابك، وهو أيضا الروح الذى بخروجه - لسبب أو لغير سبب مفهوم - تنتهى الحياة، لقد تحدى الله البشر أن يدركوا من أمرها شيئا :

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[الإسراء: ٨٥].

وقد مرت قرون ظن فيها بعض بنى البشر أنهم قد أوتوا من كل شىء علما، ولكن أحدا منهم لم تأت به بعد بارقة من معرفة بكنه الروح التى اختص الله نفسه بعلمها، تحد قائم مازال معجزا حتى هذا الزمان وفى كل زمان.

٧/٥ القرار المكين :

استقرار جنين فى رحم أم تسعى وتشقى وتعرض لشتى عوارض الحياة طوال أشهر تسع، معجزة من معجزات الخلق، والإشارة إلى ذلك بعبارة ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣]^(١) دليل على صدق القائل العليم، لقد حار القدماء فى مغزى ذلك «القرار» حتى تبين لنا بالعلم أنه قرار بلغ من عظمة التصميم وحكمة الخلق ذروته، فمن ذلك وضع الرحم فى عظام «الحوض الحقيقى»، وربطه بواسطة عضلات بجدران الحوض (مع استمرار النمو الكبير للجنين)، ومؤازرته بعضلات الحوض والعجان (نسيج ضام يربط عنق الرحم بالمثانة من ناحية، وبالمستقيم من ناحية أخرى)، وغير ذلك مما يحمى الجنين، كالأغشية الثلاث التى أشرنا إليها من قبل، والسائل الأمنيونى الذى يسبح فيه الجنين فلا يتأثر بحركة الأم، والذى يمنع الأغشية من الالتصاق بالجنين عند الولادة، كما يوسع - لكونه جيبيا للمياه - عنق الرحم ليخرج الوليد إلى النور بسلام.

الجلد مركز الإحساس بالألم لوخز أو حرق أو ما إلى ذلك، ذلك أمر معروف، تفسيره العلمى أن أعصاب الجلد تنقل إشارات إلى مراكز الإحساس بالمنخ، أما ما لم يعرفه البشر إلا حديثا فهو أن الإنسان يفقد إحساسه بالألم عندما تتلف أعصاب الجلد هذه بمؤثرات كالحرق أو الجذام، وقد أُنذر القرآن الكريم الكافرين والمتنافقين؛ والعاصيين المصيرين، بالخلود فى نار جهنم، وهناك - كى يتجدد إحساسهم بالألم ولا يفتر عنهم العذاب - تبدل جلودهم أولا بأول، كما جاء فى قول الخالق العليم :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦]^(١).

٩/٥ البصمات :

إن الخطوط المميزة لبصمات الأصابع، والتى لا تتكرر بين إنسان وإنسان، فى أى زمان أو مكان، حقيقة علمية لم يكتشفها الطب الشرعى إلا فى القرن التاسع عشر، ليعتمد عليها علم الجريمة بعد ذلك فى كشف الجرائم، ومن هنا كان إعجاز القرآن - فى معرض الرد على منكرى البعث - بالتنويه بقدرة الله تعالى فى تسوية؛ ثم إعادة تسوية، أطراف الأصابع (البنان) بأدق تفاصيلها المتميزة لكل إنسان، ذلك البنان الذى يبدو - لمن لا يعلم - ضئيل الشأن، لا يستحق فى القرآن ذكرا، بينما هو دليل على دقة الله فى خلقه، والتى لا يدرك قدرها إلا العالمون، واختصاص البنان بالذكر فى الآية آية على علم منزل القرآن العظيم :

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٣، ٤]^(٢).

(١) تدل على شدة العذاب... بدليل ما تقرره الحقيقة العلمية من أن الأعصاب المنتشرة فى طبقات الجلد هى أكثر الأعصاب حساسية لمختلف المؤثرات من حرارة وبرودة (المنتخب).

(٢) ذكر البنان لما فيها من غرابة الوضع ودقة الصنع، لأن الخطوط والتجاويف الدقيقة... لاتماثلها خطوط أخرى... معجزة علمية (الصفوة)، أثبت العلم الحديث أنه لاتشابه بصمنا بنانين (المنتخب).

(١) «فى قرار مكين»: ثابتة فى الرحم الفائرة بين عظام الحوض، المحمية بها من التأثير باهتزازات الجسم، ومن كثير مما يصيب الظهر والبطن من لكمات وكدمات، ورجات وتأثرات... (الظلال).

أفاد الطب الشرعى الحديث أن رائحة كل انسان مميزة له عن غيره من سائر البشر - تماما كبصمات الأصابع - ومن هنا تستخدم الكلاب البوليسية، بما أوتيت من قوة حاسة الشم فى تعقب المجرمين، ويتفق ذلك تماما مع ما جاء فى سورة يوسف من أن الله تعالى قد اختص نبيه يعقوب بهذه القدرة:

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤] (١).

١١/٥ المناعة:

أظهر الطب الحديث الدور المعقد والرائع لكل من المناعة الطبيعية والمكتسبة، وتمثل المناعة الطبيعية فى الإفرازات السطحية المقاومة للبكتيريا فى الجلد وفى الأغشية المخاطية، وفى مواد مضادة للبكتيريا فى الأنسجة وسوائل الجسم؛ وفى خلايا الدم الملتزمة (من كرات الدم البيضاء وبعض أنواع البكتيريا داخل الجسم) التى تقاوم البكتيريا المعادية، أما المناعة المكتسبة فتتمثل فى الأجسام المضادة والخلايا المضادة، وقال فى ذلك عز من قائل:

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤].

ولقد فهم العلامة ابن كثير فى تفسيره الشهير الذى أخرجه فى القرن الثامن الهجرى من هذه الآية أن «كل نفس عليها من الله حافظ يحفظها من الآفات»، دون أن يعرف هذه التفاصيل الحديثة التى فصلتها تجريبيا دراسة الميكروبيولوجيا. آية أخرى للإعجاز القرآنى.

(٢) يقول بعض المفسرين... إنها منذ فصلت (العير) من مصر، وأنه (النبي يعقوب) شم رائحة القميص من هذا المدى البعيد، ولكن هذا لا دلالة عليه، فربما كان المقصود لما فصلت العير عند مفارقة الطرق فى أرض كنعان، واتجهت إلى محلة يعقوب على مدى محدود، ونحن بهذا لانكر أن خارقة من الخوارق يمكن أن تقع لنبي كيعقوب؛ من ناحية نبي كيوسف، كل ما هناك أننا نحب أن نقف عند حدود مدلول النص القرآنى أو رواية ذات سند صحيح... ودلالة النص لاتعطى هذا المدى الذى يريده المفسرون (الظلال).

تكرر فى القرآن تقديم «السمع» على «البصر» (١٥ آية) ولذلك مغزى طبى عميق إذ يتسق مع ترتيب اكتساب الحواس لدى الانسان بعد ولادته فى مثل قوله:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

كما يتسق تقديم السمع على البصر مع الحقائق الآتية:

- استمرار حاسة السمع؛ دون البصر، ليلا ونهارا حتى أثناء النوم.

- الأهمية النسبية للسمع عن البصر فى التلقى والفهم والحفظ والتفاعل الاجتماعى.

كما عبر الحديث الصحيح عن بداية تكوين أعضاء السمع بلفظ غاية فى الدقة وهو شق السمع، فى قوله ﷺ:

«سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره»

ومن المعروف أن قناة السمع الخارجية تتشكل فى الجنين ثم تغلق، وتظل كذلك حتى الشهر السابع حيث تنشق لتبدأ حاسة السمع فى العمل، وكذلك تنشق عدسة العين المغطاة حينئذ بالمحفظة العدسية الوعائية التى تتخللها أوعية دموية تضمر فى الشهر السابع فتتنشق فى وسطها فتحة: هى حدة العين، ثم تنشق الجفون الملتصقة.

١٣/٥ شدة الصوت:

حواس الانسان قد خلقها الله وحدد مداها الذى لاتحيد عنه، فنحن نرى الأشياء التى ينعكس منها ضوء طوله الموجى منحصر بين الأشعة الحمراء فى الجانب الأطول والأشعة البنفسجية فى الجانب الأقصر فحسب، ولكننا لانرى الموجات الأطول (كالأشعة تحت الحمراء)، ولاالأقصر (كالأشعة فوق البنفسجية والسينية والكونية)، وكذلك السمع له حدوده فلاتدرك الأذن من الأصوات إلا ما كانت ذبذباته فى المدى المسمى بالموجات الصوتية، بينما لانشعر بموجات اللاسلكى ولا الموجات فوق الصوتية، وحساسية الأذن أيضا حساسية محدودة لشدة الصوت، فلاتميز الأصوات لو قلت شدتها عن ١٠-١٢ وات/م٢ (بداية مقياس الديسيبل)؛ ولاتتحمل الأصوات

الفصل السادس

الطب البشرى

٦ / ١ الطعام:

علمنا الهدى القرآنى والمدرسة النبوية - قبل أن يكون ثم مدارس وطب حديث - مضار الإسراف فى الطعام، وفضل الاعتدال فى المأكل والمشرب، وتنظيم أوقات الوجبات، وذلك كله أساس الصحة والنشاط؛ وعماد كل علاج، بل إن القدر الرئيسى مما يستهلكه عالم اليوم من دواء يتعلق بأمراض مضرها الجهاز الهضمى أو شاركت فى استفحالها أسباب غذائية، بينما علمنا الإسلام منذ قرون ما تنطق به هذه الآيات والأحاديث:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].
قال ﷺ:

(نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع) (مسلم).

(المؤمن يأكل فى معنى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء) (البخارى).

(ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه)
(الترمذى).

(أكثر الناس شبعاً فى الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة) (البيزار).

(أصل كل داء البردة (أى التخمة) (السيوطى فى الجامع الصغير).

كما علمنا الرسول الكريم أيضاً الأسلوب الصحى لتناول الطعام، كيف تجلس:

(لا أكل متكاً) (البخارى).

(مارئى رسول الله ﷺ يأكل متكاً قط) (أبو داود وابن ماجه وأحمد).

وكيف نتأنى فى ابتلاع الطعام، وذلك لاعطاء هواء المعدة فرصة الخروج فيجنب

التي تزيد شدتها عن ٢٠٠ ديسيل، ولو زادت لصعق الإنسان ومات على الفور، وذلك بيان صادق لقوله تعالى فيما يصف به قيام الساعة:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

فالأولى صعق بشدة الصوت لمن كان حياً يومئذ، والثانية بعث وإعادة للخلق، كما خلق الإنسان أول مرة من عدم، بأمر الله تعالى وقدرته.

كما جاء فى هول صحيحة القيامة آيات كثيرة منها:

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس: ٢٩].

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَرَاقٍ﴾ [ص: ١٥].

وجاء أيضاً ذكر الصعق بشدة الصيحة فى قصة ثمود قوم صالح عليه السلام فى عدة آيات منها: (هود/٦٧، هود/ ٩٤، الحجر/٧٣، الحجر/٨٣، المؤمنون/٤١، القمر/٣١).

المرء ما قد يصيبه من انتفاخ في المعدة والقولون؛ أو صعوبة في الهضم وفي التنفس:

(لا تشربوا كنفس واحد شرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسموا إذا أنتم شربتم، واحمدوا الله إذا أنتم فرغتم) (الترمذى).

٢ / ٦ الصيام:

الصوم أفضل العبادات ثوابا لدى المولى عز وجل، وهو مدرسة الصبر والجُلْد، وقد بين الطب الحديث ما للصوم من فوائد طبية: سواء كعادة غذائية سنوية كل رمضان، أو كنافلة لمن يستزيد من فضل الله ورضاه تمتد فوائد الصوم من تقليل مضار السمنة وسكر الدم؛ والزلال عند السيدات، إلى تخفيف حدة أمراض القلب وتصلب الشرايين؛ وما يصحبها من تضخم حجرات القلب وتورم الساقين والقدمين، إلى راحة المعدة والقولون وتحسين الهضم وزيادة فاعلية العقاقير والمساعدة على تفتيت الحصوات، إلى تجديد الخلايا بشكل عام والقضاء على البؤر الصديدية، إلى جانب ما يصحب الصيام من تنشيط الذهن وتخفيف التوتر النفسى وضغط الدم، فلم يكن عجباً في يومنا هذا أن تنشأ مصحات في بلاد مختلفة تعالج الناس بالصوم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

تؤكد هذه الآيات ما فى الصيام من فوائد لا يعلمها إلا الله ومن يعلمون (وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون).

المتأمل فى توقيت صوم رمضان يرى الحكمة فى اختيار الشهور القمرية، حيث يدور وقت الصيام تدريجياً من عام إلى عام عبر فصول السنة، فلا يستأثر بلد بصوم الصيف دوماً ولا صوم الشتاء دوماً.

٣ / ٦ اللحوم:

الأصل فى الأشياء الإباحة، وما حرم الله شيئاً إلا لحكمة؛ تخفى علينا حيناً حتى نهتدى إليها، ربما بعد قرون، ويتجلى ذلك واضحاً فى تحريم لحوم الميتة والدم ولحم الخنزير. أضرار الميتة يتلخص فى أن عدم إسالة دمها يساعد على نمو البكتيريا فى الدم المحتبس، كما يحمل دمها مركبات نشادرية قد تؤثر على مخ أكلها كما قد تحمل الميتة أمراضاً أو تكون قد ماتت مسمومة؛ أما الدم فسرير امتصاص الميكروبات، فإذا ما تعرض للهواء تتجمع فيه البكتيريا؛ وبالدم مواد مهيجة ترفع ضغط الدم، أما لحم الخنزير فيحمل العديد من الطفيليات الخطيرة، وأخطرها دودة تينيا سويلم التى يعد الخنزير العائل الوحيد لها، والتى تكمل دورة حياتها داخل جسم الإنسان، وقد تستقر فى مخه فتصيبه بالجنون أو العمى، وقد تعرضه لاحتمال الانسداد المعوى من جراء كتل الديدان وما تفعله الديدان بجدران القناة الهضمية؛ ودودة أخرى خطيرة هى دودة التريخنيا التى تخترق جدران المعدة، ومنها إلى العضلات والأعضاء المختلفة، كما أن الخنزير أكثر الحيوانات احتفاظاً بحمض البوليك؛ وذلك الحمض - هو ودهن الخنزير - عسر الهضم وله أبلغ الضرر على الدورة الدموية والمفاصل، ألا يعلم من خلق، بلى وهو اللطيف الخبير، القائل:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمَ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] (١).

الموقوذة: المضروبة بعصا أو حجر، المتردية: التى تسقط من جبل ونحوه،

(١) سبق القرآن الطب الحديث بتحريم... «المنتخب»، المنخقة: من خنقه عصر حلقه حتى مات، الموقوذة التى وقذت (ضربت) بالعصا حتى ماتت (الوسط)، المتردية التى تقع من جبل أو تطيح فى بئر، أو تسقط من موضع مشرف فتموت (اللسان)، النطيحة، ماتناطح فمات (اللسان)، ذكيت: من ذكى الشاة ذبحها (الوسط)، والتذكية: الذبح على التمام (اللسان).

النطيحة: مانطحتها أخرى فماتت؛ ما أكل السبع: أى أكل بعضه (جزءاً منه) فمات.

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلٍ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنْزِيرِ وَمَا أُهْلٍ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥].

ولما كان الإسلام هدى الله العليم فلم يذهب إلى ما ذهبت إليه بعض الشرائع من إفراط فى تحريم ما أحل الله، فحرموا لحوم الحيوان بإطلاقها: إما دائماً وإما فى إطار تحوير عبادة الصيام كما شرعها الله (كما كتب على الذين من قبلكم) إلى صيام عن الطعام الحيوانى فحسب. أكد القرآن تحليل الذبائح بأنواعها عدا ما أشرنا إليه من محرمات، وقد أثبت الطب الحديث الأهمية القصوى لتناول البروتينات الحيوانية، إذ أن هذا النوع من البروتينات هو المصدر الوحيد لتكوين الأجسام المضادة التى تدافع عن الجسم وتحميه من الجراثيم والميكروبات.

من شروط الذبح الإسلامى التذكية: أى إسالة دم الذبيحة لتصفية الدم الفاسد، ويتم ذلك إما بقطع الحلقوم والمرئ والودجين (أى الذبح) وذلك للبقرة والغنم والطيور، أو بالطعن فى اللبة (المنحر) إلى مبدأ الصدر (أى النحر) وذلك للإبل وأحياناً للبقرة، أو جرح الحيوان غير المقدور عليه فى الصيد (العقر) كما جاء فى الأحاديث الشريفة:

(ألا إن الذكاة فى الحلق واللبة) (الدارقطنى).

(ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ما لم يكن سناً أو ظفراً) (الجماعة).

وليسأل القارىء نفسه من الذى هدى النبى الكريم ﷺ إلى هذا الأسلوب الذى أثبت الطب الحديث حكمته، كما جاء فى تقرير منظمة الصحة العالمية عام ١٩٨٨ من الميلاد.

٦/٤ العسل:

أشاد الله ورسوله فى القرآن والحديث بفوائد عسل النحل، فإلى جانب سهولة تثيله وامتصاص سكرياته، ثبت تجريبياً قضاؤه على الكثير من الجراثيم بفضل مابه من مضادات حيوية تفرزها النحلة الشغالة، كما استخدم فى مجالات تعقيم الجروح من التقيح -والتى يساعد العسل أيضاً على سرعة التئامها، وفى شفاء التهابات الأنف والحنجرة، وقد اكتشف مؤخراً أنه المادة الوحيدة فى الطبيعة التى يتوافر بها عقار الأنترفرون المضاد للنمو السرطانى، كما لوحظ أنه يساعد - بإذن الله - على مقاومة أعراض الشيخوخة، وأكثر من يطلق عليهم المعمرون يواظبون على تناوله، كما تتضح فوائده يوماً بعد يوم لمرضى القلب والكبد وقرحة المعدة والحمى الروماتيزمية والتيفود، وفى مقاومة التسمم الخارجى والداخلى، كما أن له تأثيراً مساعداً لتخفيف أعراض الاكتئاب والأمراض النفسية وضيق التنفس؛ وكذلك لجلب النوم الهادئ، كما يستخدم فى علاج بعض الأمراض الجلدية كالأكزيما والأكزيما، حتى ظهرت مراجع متخصصة تتناول فوائد وأوجه العلاج بعسل النحل كتبها مؤلفون غير مسلمين (تضاف إلى العديد من كتابات العلماء المسلمين) مثل:

- «عسل النحل»، تأليف إيفاكين، طبع هاينمان، ١٩٧٥.

- «العلاج بعسل النحل»، تأليف د. ن. يويريش، ترجمة محمد الحلوجى وصدق تعالى فى قوله:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩] (١).

وصدق الرسول الكريم فى حديثه:

(عن أبى سعيد أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: أخى يشتكى بطنه، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه الثانية فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه الثالثة فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه

(١) العسل مفيد فى كثير من الأمراض ويعطى بطريق الحقن والضم والشرج بصفته مقوياً... وضد التسمم من مختلف المعادن، وضد التسمم الناشئ من أمراض الأعضاء، مثل التسمم البولى والصفراء وغيرهما، وبه نسبة عالية من الفيتامينات وخاصة ب المركب (المنتخب).

فقال: قد فعلت، فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً، فسقاه فبراً (البخارى).

(شفاء أمتى فى ثلاث: شربة عسل، وشرطة لحم، وكى وما أحب أن أكتوى) (البخارى).

٥/٦ الرضاع:

حض القرآن الكريم على الرضاعة الطبيعية للأطفال، ثم أثبت العلم الحديث أهمية لبن الأم لحسن تغذية المولود ولوقايته من العدوى ومن أمراض الحساسية والفم، ولوقاية الأم من مشاكل الثدي والعمل على استقرار الرحم بعد الولادة والمساعدة فى تنظيم الحمل، ولتوفير الاحساس بالدفء والأمومة للرضيع، وجاء ذلك فى القرآن بثلاث صور مختلفة فى آيات ثلاث:

١- ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرُّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوهُمَا أُولَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣] (١).

٢- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حِمْلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

٣- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حِمْلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥] (٢).

(١) وثبتت البحوث الصحية والنفسية اليوم ذلك، ولكن نعمة الله على الجماعة المسلمة لم تنتظر بهم حتى يعلموا هذا من تجاربهم «الظلال».

(٢) (الأحقاف: ١٥) وقد استدلل العلماء بهذه الآية مع التى فى لقمان (لقمان/ ١٤): «وفصاله فى عامين» على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وهو استنباط قوى صحيح (الصفوة)، أقل مدة الحمل ٦ شهور لهذه الآية والآيتين الآخرين، فبإسقاط مدة الفصال عن مدة الحمل والفصال يبقى للحمل ستة أشهر، وهذا يتفق مع ما ثبت علمياً من أن الطفل إذا ولد لسته أشهر فإنه قابل للحياة (المنتخب).

وبيان ذلك علمياً: أن لبن الأم به نسبة عالية من البروتينات والسكريات الحرارية؛ ومن الأملاح والأجسام المضادة للأمراض، وهو دائماً معقم يخرج فى درجة حرارة تناسب الرضيع صيفاً وشتاءً، يتغير لبن الأم فى تركيبه منذ لحظة الولادة؛ فلبن الأيام الثلاث الأولى (المسمى باللبأ أو الكلوستروم) به نسبة عالية من البروتينات والمضادات الحيوية التى تحمى المولود فى هذه المرحلة المبكرة؛ ثم يتطور تركيبه مع احتياجات الرضيع وقدرته على تمثيل الغذاء - طوال فترة الرضاعة، تفرز الممرض هرمون البرولاكتين الذى يعمل على عودة الرحم إلى طبيعته، كما أن الإفراز المستمر للبن بالإرضاع يحمى الأم من الخراج المزمع التى يسببها تجمع اللبن بالثدى - والتى تزيد احتمال تكون الأورام الحميدة والخبيثة، وقد فطن العلم الحديث مؤخراً إلى هذه الحقائق، فقامت حملات وبرامج عالمية منظمة لنشر الوعى، والتأكيد على مواصلة الرضاعة الطبيعية طوال العامين الأولين من حياة الطفل - كما حددها القرآن - حفاظاً على صحة الأم والطفل، إلى جانب دورها كوسيلة ثانوية لتنظيم الحمل: إما إرادياً لضمان استمرار لبن الأم - حتى لا ينقطع بالحمل، أو لا إرادياً حيث يعمل الإرضاع فى كثير من الأحوال على تأخير عودة الدورة الطبيعية للأم.

لو تأملنا فى آيات الرضاع الثلاث لتبين لنا مدى الدقة المعجزة فى التعبير عن ثلاث أحوال للحمل والولادة بتعبيرات تتطابق مع كل حالة:

- الحالة الأولى حيث الحمل والولادة؛ والأم والمولود؛ فى أحسن حال، يكون الرضاع لحولين كاملين،

- الحالة الثانية حيث تكون الأم ضعيفة البنية والصحة؛ ولكن الحمل والولادة قد سارا بسلام، تكون مدة الرضاعة عامين دون اشتراط كمالهما - تبعاً لقدرة الأم،

- أما الحالة الثالثة؛ والتى وردت فيها كلمة «كرها» مرتين - تعبيراً عن مدى التعب والمعاناة فى الحمل والوضع؛ وعادة ماتكون فيها مدة الحمل أقصر، فقد تنقص إلى ستة شهور فيحتاج الطفل إلى فترة الرضاعة القصوى لتعويض ضعفه - إذا أمكن - ليصل مجموع فترة الحمل والرضاع إلى ثلاثين شهراً، وقد يطول الحمل - بمشقة شديدة فى هذه الحالة - إلى تسعة شهور، وهنا ينبغى تقليل مدة الرضاعة تيسيراً على الأم إلى أقل من ٢١ شهراً.

ومن ناحية أخرى قد يستنبط من قراءة الآيات مجتمعة أن الحد الأدنى للحمل

أضحت مشكلة الخمر أو « الكحولية » أخطر عامل يهدد صحة العالم، وأصبح في تأثيره المدمر - طبقا لاحصائيات أجريت عام ١٩٨٧م - أخطر من المخدرات ومن السرطان ومن الإيدز، ذلك الشراب الذي حرمة الإسلام منذ أربعة عشر قرنا، وحرمة الشرائع السماوية قبل ذلك (وقبل أن يُحَرَّفَ فيها ما حُرِّفَ)؛ قبل أن يعرف البشر مانعها الآن من حكمة تحريم الخمر من الناحية الطبية - إلى جانب الحكمة التربوية والاجتماعية والتشريعية، فشمّة «موسوعة» من الأمراض مصدرها ذلك الرّجس اللعين: من أمراض للجهاز الهضمي كالقرحه وتسمم الخمائر المعوية والإجلال بتمثيل الفيتامينات والتهابات الكبد وتليفه وتسمم الكلى بالبولينا، إلى أمراض الجهاز العصبي المركزي وإضعاف الذاكرة وتشويش العقل، إلى أمراض الأنف والأذن والحنجرة كالصمم العصبي الناتج عن التسمم الكحولي والتهاب الحلق والحنجرة والبلعوم والتهاب الأحبال الصوتية المؤدى إلى سرطان الحنجرة، إلى التأثير على العصب البصري، وإضعاف الجهاز المناعي، والتأثير على عضلة القلب والمساعدة على تصلب الشرايين، واحتقان الجهاز التناسلي وضمور الخصيتين، وأخيرا مرض الإدمان الكحولي، سبحانه ربى وسعت كل شئ علما وأنت القائل :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

ثم يبين الرسول ﷺ منهج المسلم فى قطع الطرق وسد الذرائع الموصلة إلى الإدمان فى أحاديثه :

(كل شراب أسكر فهو حرام) (البخارى) .

(كل مخمر خمر وكل مسكر حرام) (أبو داود) .

(كل مسكر خمر وكل خمر حرام) (مسلم وأحمد وأبو داود) .

(كل مسكر حرام) (أحمد والبخارى ومسلم) .

(من شرب الخمر لم يقبل الله منه صلاة أربعين صباحا) (الترمذى وابن ماجه وأحمد) .

(لعن الله فى الخمر عشرا : عاصرها ومعتصرها وشاربها ومقدمها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها وشاربها ومهديها وأكل ثمنها) (ابن ماجه والترمذى) .

(إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم) (البخارى) .

٧ / ٦ الحيض :

قال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

الأمر بتجنب الجماع أثناء الحيض إعجاز طبي كشفت حكمته المعارف الطبية الحديثة لمضاره على الجنسين؛ التى ترجع إلى ضعف حمضية المهبل (اللازمة لقتل الميكروبات) واحتمال وصول مادة البروستاجلاندين الموجودة بالمني إلى دم المرأة - وهذه المادة تؤدى إلى نقص المناعة، كما أن الجماع فى ذلك الوقت يؤدى إلى تسلخات تساعد على نمو البكتريا، وانقباضات الرحم خلاله تدفع هذه البكتريا إلى تجويف الرحم .

ولنفس الحكمة أيضا هدى الله رسوله ﷺ إلى النهى عن إتيان الدبر فى الأحاديث :

(ولا تأتوا النساء فى أعجازهن، فإن الله لا يستحى من الحق) (الترمذى وأحمد والدارمى) .

(إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يجامعوها فسأل أصحاب رسول الله ﷺ : ما يصنعون ... فقال : اصنعوا كل شئ ما خلا النكاح) (مسلم) .

(من أتى امرأة في دبرها لم ينظر الله إليه يوم القيامة) (القرطبي في تفسيره).

٦ / ٨ العدة:

في تشريع الطلاق وقَّت الله سبحانه وتعالى مدة العدة بثلاث حيضات، قبل أن ترتبط المرأة بزواج جديد، وحكمة ذلك أنه قد ثبت أن دم الحيض قد يأتي بعد وقوع الحمل (الاستحاضة) ويتكرر؛ قبل أن يملأ الجنين الرحم - أى فى الشهور الثلاث الأولى؛ وفى مثل هذه الحالات قد تستحيض الحامل مرة واحدة «أحيانا»؛ أو مرتين «نادراً»، بينما «يستحيل» علمياً أن تستحيض الثالثة، ﴿ألا يعلم من خلق، بلى وهو اللطيف الخبير﴾، وهذه آيات التشريع:

﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَعْلَمْنَ أَنَّ مَا فِي بَرْحِهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

﴿وَاللَّائِي يَئْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

٦ / ٩ الزنا:

حرم الله الزنا وسد الذرائع المؤدية إليه؛ بالدعوة إلى الاحتشام ومنع الفتنة التي يسببها التزين المفرط أو التعطر المثير، وذلك لحكمة لم يدركها العلم حتى ظهور المجهر واكتشاف ميكروبات الأمراض التناسلية؛ التي لا تنتقل وتنتشر إلا بالعلاقات الجنسية المحرمة أو الشاذة؛ كأمراض الزهري والسيلان؛ بمضاعفاتها الخطيرة التي تودي بأجهزة الجسم وتفتك بالحياة، ثم مرض الإيدز: مرض نقص المناعة الذاتية وطاعون العصر - عصر الجاهلية الجديدة:

(١) وذلك أن الاستبراء لا يكون مؤكداً إلا بعد ثلاث حيضات، والحامل لا تحيض عادة، وإن حاضت فإن ذلك يكون مرة أو مرتين على الأكثر، إذ أن الجنين يكون قد نما بعد هذه المدة إلى درجة يملأ معها تجويف الرحم فيمنع نزول دم الحيض... وما كان معلوماً عند العرب، وما كان للنبي الأمي أن يعلمه (المنتخب).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مَنَّهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

ولأن الإسلام رسالة الخالق العليم الذي يعلم طبيعة خلقه؛ فلم يكتف بالموعظة وبالنهي عن الزنا وسن الحدود والعقوبات، بل سد كل السبل المؤدية إليه فى المجتمع، وذلك ما يفهم أيضاً من عبارة «لا تقربوا» أى ابتعدوا عنه وعن كل مقدماته، فأوجب الاحتشام فى الزنى:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءُ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءُ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيسِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وأكد ذلك أحاديث الرسول ﷺ ومنها:

(يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا...) وأشار إلى وجهه وكفيه) (أبو داود).

(صنفان من أهل النار لم أرهما: رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليُشم من مسافة كذا وكذا) (أحمد ومسلم).

(لا يقبل الله صلاة من امرأة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع

فتغتسل) «أى لتذهب رائحتها قبل دخول المسجد» (أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة).

(أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهدان العشاء) (أبو داود والنسائي).

وأمر تعالى بغض البصر:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

ولم يكتف ببيان النواهي والمحظورات، بل حض على الزواج الحلال ويسر سبله:
﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْهُ دَعَا اللَّهَ رَبِّهَا لَنْ أَتِيَنَّ صَالِحًا لَتُكونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيِّاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النساء: ٢٥].

وقال رسول الله ﷺ في التشجيع على الزواج:

(ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح يريد العفاف) (الترمذي والنسائي).

(تزوجوا الودود الولود، فإنني مكاثركم الأمم يوم القيامة) (أبو داود والنسائي وأحمد).

(يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) (الجماعة).

(الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة) (مسلم).

(... أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) (البخاري ومسلم).

(ما استفاد المؤمن - بعد تقوى الله عز وجل - خيرا له من زوجة صالحة) (ابن ماجه).

وأباح الطلاق - عند تعذر استمرار العشرة، وكذلك تعدد الزوجات - للضرورة القصوى؛ وبشرط العدل التام؛ بدلا من الزنا المستتر الذي يتفشى في الأمم التي تقيد الطلاق ولا تسمح بالتعدد.

١٠ / ٦ اللواط:

هاقد لاح حضارة أواخر القرن العشرين شبح الطاعون الأبيض: الإيدز؛ والذي ينتشر كالهشيم حيثما انتشر اللواط؛ ومثله البغاء؛ والمعاشره الجنسية الشاذة، وقد حرم تشريع الخالق العليم كل هذه الانحرافات، وسلط القصص القرآني الأضواء مرارا على قوم لوط وجعلهم عبرة للعالمين على امتداد الزمان:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ . إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١].

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ . أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٤، ٥٥].

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦].

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨].

كما نهى الرسول ﷺ أمته عن اللواط في أحاديثه:

(إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان). (البيهقي).

(من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول) (أبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجه).

١١/٦ البرص:

أثبت طب الأمراض الجلدية استحالة علاج مرض البرص أو البهاق؛ لارتباطه بموت خلايا الميلانين الملونة؛ والتي يستحيل بعثها من جديد، وكل ماقد يفعله الطب هو تنشيط ماقد يتبقى من خلايا؛ لتخفيف الأمر لا لشفاؤه، ومن هنا فإن شفاء البرص - علميا - معجزة، وذكره في القرآن في معرض المعجزات التي أجراها الله على يد عيسى عليه السلام يتفق مع ما بينه العلم الحديث:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

الفصل السابع

في الصحة العامة

١/٧ العدوى:

انتقال العدوى - سواء بالفيروسات أو البكتيريا أو الطفيليات - ليس سببا في ذاته للإصابة بالمرض، بل قد ثبت أن تأثيره إنما يكون بأمر الله، إن شاء نشطت الجراثيم واستفحلت، وإن شاء سكنت أو استكانت لجهاز المناعة، وقد ظهرت الدراسة الاحصائية أن من بين آلاف يحملون مرضا معيناً - وباء كان أم غيره - لا يمرض منهم سوى نسبة قليلة من الناس ينشط فيهم الداء دون غيرهم من بني جنسهم، بل إن المرء قد يحمل المرض سنين طوال دونما أعراض، حتى ينشط المرض فجأة دون سبب طبي مفهوم، وهنا يظهر الإعجاز العلمي فيما هدى الله إليه نبيه ليؤكد لنا أن العدوى ليست وحدها سببا حتميا للمرض:

(لاعدوى ولاطيرة ولا هامة ولاصفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد) «البخاري».

(لاعدوى ولاصفر ولاهامة، فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجىء البعير الأجرى فيدخل فيها فيجربها كلها؟ قال: فمن أعدى الأول؟) «البخاري».

إلا أنه ﷺ أمرنا بالاحتياط والتحرز عن مخالطة المرضى في حديثه:

(لايورد ممرض على مصح) «البخاري».

كما أمر بعزل المرضى ذوى الأمراض المستعصية لسد الأبواب أمام انتقالها إلى من لا يملك المناعة الكافية «انظر: الحجر الصحي».

ولتقليل احتمالات انتشار الأمراض لم يغفل الهدى النبوي أن يأمرنا بنظافة الأيدي قبل وبعد الطعام:

(كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يأكل غسل يديه) «النسائي».

السام، والسام الموت (. «الطبراني والبخاري»

(إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداؤوا، ولا تتداؤوا بمحرم)
(أبو داود مرفوع) .

(مرض رجل على عهد النبي ﷺ فقال : ادعوا له طبيب بنى فلان، فقالوا :
يا رسول الله تعنى الطبيب؟ قال : نعم) . «أحمد»

(دخل رسول الله ﷺ على مريض ليعوده فقال : قائل : وأنت تقول ذلك يا رسول
الله؟ قال : نعم) . «البخاري ومسلم والترمذي وأحمد والموطأ»

(بعث رسول الله ﷺ إلى أبي بن كعب ففقط منه عرقا ثم كواه) «مسلم» .

٣/٧ النظافة :

النظافة من صميم العبادات في الإسلام، الذي انطلق من جزيرة العرب مهد
الجاهلية وأهلها في ذلك الزمان؛ نبراسا على أن الوحي ليس نابعا من هذه البيئة بل
هو نور أنزله الله بعلمه، لم يترك الإسلام أمرا من أمور النظافة الشخصية إلا وجه إليه
وهدى :

أ - الغسل : من آيات التربية الإسلامية الصحية ضرورة الاستحمام بعد الجماع،
وهو في هذه الحالة فرض لا يصح أداء الصلاة أو مناسك الحج إلا به، ولغير ذلك فإن
الإغتسال سنة مؤكدة لصلاة الجمعة الأسبوعية، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا
عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ
لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَفْوًا غَفُورًا ﴾ [النساء: ٤٣] .

﴿ ... وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ
الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ
مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِيعَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦] .

(أكل ﷺ كتف شاه قمض وعسل يديه) «ابن ماجه» .
(من بات وفي يده ريح غَمِير « دسم » فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه)
«الترمذي» .

(إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا، فإنه
لا يدرى أين باتت يده) «مسلم» .

وأمر بتغطية أواني الطعام لحمايتها من الحشرات والهوام :

(غطوا الإناء وأوكثوا السقاء) «مسلم» .

(اتقوا الذر « الغبار » فإن فيه النسمة) .

والمقصود بالنسمة أصغر الكائنات أى مانسميه الميكروبات «قاموس الفيروز
أبادي : النسمة أصغر الحيوان» .

(أمرنا رسول الله ﷺ أن نوكىء « نربط فوهة » أسقيتنا ونغطي آتيتنا) «ابن
ماجه» .

(عن عائشة : كنت أصنع لرسول الله ﷺ ثلاثة آنية من الليل مخمرة « أى
مغطاة » : إناء لظهوره، وإناء لسواكه، وإناء لشرابه) . «ابن ماجه» .

كما نهى ﷺ عن الشرب في القدح المشروخة - لما قد تختزنه من قاذورات في
شقوقها .

٢/٧ الدواء :

علمنا الرسول الأُمى الذى نشأ فى أمة من أفقر أمم الأرض علما ومالا أن لكل
مرض دواء، وأن علينا البحث والتجريب لنهتدى إلى الدواء الناجح، ثم أن علينا
التداوى وعلى الله الشفاء بإذنه، ومضت قرون وساد فيها التداوى بالسحر وغيره من
ضروب الجهل شتى بقاع الأرض، حتى نشأة علم الأدوية الحديث - والذى وضع
أساسه علماء المسلمين، وها هى الأحاديث النبوية تنطق بحكمة وعلم من أنزل
الوحي على عبده الأمين :

(ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء) «البخاري» .

(ما خلق الله من داء إلا جعل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله إلا

وفى الحديث الشريف :

« حق الله على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام : يغسل رأسه وجسده » (مسلم).

« غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، ويمس من الطيب ما قدر عليه » (متفق عليه).

« من أتى الجمعة فليغتسل » (البخارى ومسلم وابن ماجة).

« كان رسول الله ﷺ يغتسل يوم الفطر ويوم الأضحى » (ابن ماجة).

« وقت لنا رسول الله ﷺ فى قص الشارب وتقليم الأظفار » (مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة وأحمد).

وقد كشفت دراسات أمراض الجلد أهمية الاستحمام لإزالة افرازات العرق وما يعلق به من قدر، وما تتكاثر به من بكتريا تصيب الجلد أو الجسم عامة؛ وتفسد الرائحة.

ب - الوضوء : قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة : ٦].

يؤكد الطب الحديث الفوائد الصحية العظمى للوضوء فى تطهير الجسم ومنع انتشار الأمراض، فقد أثبت دور اليدين كناقل رئيسى للميكروبات، كما أثبتت البحوث التجريبية دور الوضوء الفعلى فى الحد من أعداد البكتريا على سطح الجلد، والأحاديث التى تدعو إلى العناية بالوضوء وتشرح كيفيته كثير نسوق منها :

« الطهور شطر الإيمان » (مسلم).

« لا صلاة لمن لا وضوء له » (ابن ماجة).

« مفتاح الصلاة الطهور » (أبو داود).

« لا يقبل الله صلاة إلا بطهور » (ابن ماجة).

« إن أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، من استطاع منكم أن

يظليل عرقه فليفعل » (متفق عليه).

« إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه » فمه «، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار « أطراف أجفان » عينيه، فإذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه » (مسلم).

« من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره » (مسلم).

بل سن رسول الله ﷺ الوضوء لغير الصلاة :

« سئل النبى ﷺ عن الجنب هل ينام أو يأكل أو يشرب، قال نعم، إذا توضأ وضوء للصلاة » (ابن ماجة).

« إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ » (مسلم).

« إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة » (متفق عليه).

كما يسن الوضوء عند الغضب، وقراءة القرآن والحديث، وتلقى العلم وغير ذلك.

وقد بين الطب الحديث أيضا فوائد الاستنثار أثناء الوضوء فى منع الكثير من الأمراض التى تدخل الجسم عن طريق الأنف « الاستنثار : ادخال الماء إلى الأنف ثم اخراجه »، وهذه أحاديث تدعو إلى العناية بالاستنثار :

« إذا توضأ أحدكم فليجعل فى أنفه ماء ثم ليستنثر » (البخارى ومسلم وأبو داود).

« أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ فى الاستنشاق إلا أن تكون صائما » (الترمذى).

« عن على رضى الله عنه أنه دعا بوضوء فتمضمض واستنشق ونثر بيده اليسرى، ففعل هذا ثلاثا، ثم قال : هذا طهور النبى ﷺ » (أحمد والنسائى).

ج - الاستنجاء : تنظيف المخرجين عقب قضاء الحاجة من المقدمات الواجبة للوضوء، وهو أمر له أهميته الكبيرة فى الحد من التلوث وانتشار الأمراض المعدية،

وتعالوا تسعروا أو احاديث النبوية التي تعد نقافة متكاملة في اساليب الصححة العامة وفي حماية سطح الجلد ومنافذه من تسلسل الأمراض :

« كان النبي ﷺ إذا تبرز لحاجته أتيته بماء فيغسل به » (متفق عليه).

« ما رأيت رسول الله ﷺ خرج من غائط قط إلا مس ماء » (ابن ماجة).

« عن عائشة قالت تعلم نساء المسلمين مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء، فإنى أستحييهم، فإن رسول الله ﷺ كان يفعله » (الترمذى).

« إذا تغوط أحدكم فليتمسح ثلاث مرات » (ابن حزم).

د - **تقليم الأظافر** : كشف الطب الحديث بعد قرون من بعثة محمد ﷺ برسالة الإسلام، وأمره بتقليم الأظافر ضمن سنن الفطرة، أهمية ذلك لصحة الفرد منعا لتخزين الأوساخ، بما تحمله من بكتريا وفطريات وفيروسات وطفيليات :

« خمس من الفطرة : الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشارب » (البخارى ومسلم).

« يا أبا هريرة قلم أظافرك فإن الشيطان يقعد على ما طال منها » (الغزالي في الإحياء).

هـ - **الشعر** : أمرنا رسولنا الكريم بالعناية بالشعر فى سائر أنحاء الجسم، فأمر بإزالته من الإبطين والعانة وبقص الشارب، وقد أثبت الطب الحديث ضرورة ذلك لمنع نمو البكتريا والروائح الكريهة بسبب إفرازات الغدد العرقية فى الإبطين والعانة، ولمنع تراكم آثار الطعام وإفرازات الأنف فى الشوارب أو تجمع الملوثات بها، كما جاء فى حديث سنن الفطرة أعلاه.

والإسلام رسالة حضارة أحدثت طفرات فى الجاهلية العربية، ومنها طفرة فى العناية بحسن المظهر والزينة فقال تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣١،

وجاء فى السنة النبوية :

« أتى رجل رسول الله ﷺ نائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله ﷺ كأنما يأمره بإصلاح شعره ففعل ثم رجع، فقال رسول الله ﷺ : هذا خير من أن يأتى أحدكم نائر الرأس كأنه شيطان » (مالك).

« عن أبى قتادة : قلت يا رسول الله أن لى جمعة أفأرجلها؟ قال : نعم وأكرمها » (النسائى).

« دخل عليه ﷺ رجل نائر الرأس أشعث اللحية فقال : أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره » (أحمد).

« خالفوا المشركين » المجوس « وفروا اللحى » أى اتركوها « واحفوا الشوارب » استقصوا قصها « (متفق عليه).

و - **الختان** : الختان يمنع تراكم الإفرازات وما تختزنه من بكتريا قد تسبب التهابات تمتد إلى الجهاز البولى والتناسلى، والختان سنة من سنن الفطرة للرجال - كما جاء فى حديث الفطرة الذى سقناه من قبل، أما ختان الإناث فلم يسنه الإسلام أصلا ولم يأمر به، وإنما أجازاه النبى عليه الصلاة والسلام لمن يشاء ولكنه نهى عن المغالة فيه حتى لا يؤثر على وظائف الأعضاء، أو يضر بالعلاقة الزوجية :

« يا أم حبيبة إذا أنت فعلت فلا تنهكى فإنه أشرق للوجه وأحظى عند الزوج » .
« أبو داود »

ز - **السواك ونظافة الفم** : فى المدرسة الطبية لحمد بن عبد الله تعلم المسلمون أهمية نظافة الفم والأسنان، قبل نشأة مدارس وعلوم طب الأسنان بقرون :

« لولا أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء » (الترمذى).

« السواك مطهرة للفم مرضاة للرب، ماجأنى جبريل إلا أوصانى بالسواك، حتى لقد خشيت أن يفرض على وعلى أمتى، ولولا إنى أخاف أن أشق على أمتى لفرضته لهم وإنى لأستاك حتى لقد خشيت أن أحفى مقام فمى » أى أزيل جزءا من اللثة لكثرة السواك « (متفق عليه).

« إذا توضأت فمضمض » (أبو داود).

مضمضوا من اللبن فإن له دسما» (أبو داود).

«خرج ﷺ مع أصحابه إلى خيبر ثم دعا بأطعمة فلم يؤت إلا يسويق» طعام من دقيق الخنطة والشعير» فأكلوا وشربوا، ثم دعا بماء فمضمض فاه» (ابن ماجه).

«كان يصلى بالليل ركعتين ركعتين ثم ينصرف فيستاك» (ابن ماجه).

«كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ» (أبو داود).

«كان إذا قام بالليل يشوص فمه بالسواك» (متفق عليه).

تتضافر هذه الأحاديث لتؤكد المصدر الرباني لسنة النبي الأمي محمد ﷺ.

من ناحية أخرى كشفت دراسات حديثة عن المزايا الطبية لشجرة الأراك «مادة السواك» بالذات، وهو عود نباتي ينمو بالحجاز، به كيماويات مزيلة لصفار الأسنان، وزيت عطرية مطهرة.

٧ / ٤ الصلاة :

الصلاة - عبادة - عماد الدين وركنه المكين، وهى مدرسة المسلم ودرعه أمام همزات الشياطين، ولها إلى جانب ذلك فوائد صحية وطبية عميقة، منها: تنشيط شرايين المخ وتقوية جذران المخ الدماغية، ومنها تجنب جلطة الساق الوريدية، وقرح الظهر التي كثيرا ماتصيب قليلي الحركة، وإذا تأملنا فى اختيار أوقات الصلوات الخمس لرأينا آيات أخرى لحكمة الحكيم العليم، فأوقات الصلاة تتناسق مع أوضاع الشمس، يمتد وقت الفجر من حين تكون الشمس مائلة ٩٠° تحت أفق الشروق إلى وقت ظهورها، بينما يمتد المغرب من غروب الشمس حتى تميل ٩° تحت أفق الغروب، وذلك وقت العشاء، والظهر عندما تكون الشمس رأسية فوق الرؤوس تماما فيختفى الظل، بينما العصر أوانه عندما يكون ظل الشيء كمثلته.

كما تتناسب أوقات الصلاة مع نظام الحياة اليومي وأحوال جسم الإنسان، فيأتى الفجر والجسم بعد لم ينفض كسل النوم، والظهر فى ذروة العمل والنشاط، والعصر بعد كلال الجسم من العمل والسعى، والمغرب فى نهاية صخب النهار وبداية سكون النفس والعقل، وأخيرا يأتى العشاء إيذانا بالنوم والراحة.

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا

الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣].

ومن العسير أن نحصر هنا الشواهد من القرآن والسنة، التي تدعو لاقامة الصلاة والعناية بها واغتنام ماتفتحه على المرء من آيات رضا المولى فى الدنيا والآخرة.

٧ / ٥ الحجر الصحى :

أحد أساليب الطب الوقائى الذى لم تعرفه البشرية إلا فى القرن الماضى : سنه المصطفى عليه الصلاة والسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا بوحى من العلى القدير، للحد من انتشار مرض الطاعون فقال:

«إن هذا الطاعون رجز على من كان قبلكم» أو على بنى إسرائيل» فإذا كان بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه، وإذا كان بأرض فلا تدخلوها» (البخارى ومسلم).

«إذا سمعتم بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه» (البخارى ومسلم).

«عن عائشة رضى الله عنها قالت للنبي ﷺ : يا رسول الله فما الطاعون؟ قال غدة كغدة الإبل، المقيم فيها كالشهيد، والفار منها كالفار من الزحف» (أحمد).

ومن المدهش أيضا فى الحديث الأخير وصف الرسول الكريم لأعراض الطاعون بدقة تتفق مع الوصف العلمى، كما جاء أيضا فى الحديث التالى:

«عن عائشة رضى الله عنها قالت للنبي ﷺ : الطعن عرفناه فما الطاعون؟ قال: غدة كغدة البعير يخرج فى المراق والإبل» (البزار).

كما أمر الرسول ﷺ باعتزال مريضى الجذام فى قوله:

«فر من المجذوم كما تفر من الأسد» (أحمد).

٧ / ٦ الطفيليات :

من عجب أن يرشد النبي ﷺ وقد عاش فى بيئة وزمان لايعرف ولم يكتشف الطفيليات وأخطارها، ولا وسائل انتشارها والحد منها، إلى فضل الاجراءات الوقائية التي عرفها الطب الوقائى الحديث بعد قرون طوال، وقد ثبت الآن أن الطفيليات

كالبلهارسيا والإسكارس والأنثروبيوس والأميبا وغيرها - والتي تكمل دورة حياتها في جسم الإنسان - إنما تفسد بالجفاف وبارتفاع درجة الحرارة فتأمل أحاديثه ﷺ في منع انتشار الطفيليات والحفاظ على نظافة البيئة والموارد المائية :

« اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد وقارعة الطريق وفي الظلال » (أبوداود).

« اتقوا اللاعنين، قالوا: وما اللاعنان؟ قال: " الذى يتخلى فى طريق الناس وظلهم » (مسلم).

« لايبولن أحدكم فى الماء الراكد » (ابن ماجة).

« لاتبل فى الماء الدائم » الراكد الذى لايجرى ثم تغتسل منه » (مسلم).

« لا يغتسلن أحدكم فى الماء الدائم وهو جنب » (مسلم).

وتأمل أيضا مايتعلق بذلك من الأمر بالاستنجاء بعد قضاء الحاجة، كما فصلنا من قبل.

٧ / ٧ مرض الكلب :

إعجاز آخر للطب النبوى حين أرشدنا إلى الأسلوب العلمى الرفيع فى الاحتراز من الآنية والمياه التى يردها الكلاب، خوفا من نقلها مرض الكلب « الريبس » الخطير وعدة أمراض أخرى :

« طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب » (مسلم).

الحكمة فى الغسل سبع مرات أولاهن بالتراب : أن فيروس الكلب دقيق متناه فى الصغر، ومن المعروف أنه كلما صغر حجم الميكروب كلما زادت فعالية سطحه للتعلق بجدار الإناء والتصاقه به، ولعاب الكلب المحتوى على الفيروس يكون على هيئة شريط لعابى سائل، دور التراب هنا هو امتزاز الميكروب « بالالتصاق السطحي » من الإناء على سطح دقائقه .

٨ / ٧ الذباب :

ترجع فكرة اللقاحات والأمصال إلى اكتشاف الطب الحديث أن العلاج بذات السم هو خير وسيلة للنجاة منه، لقدرة الخلايا الحية على إنتاج أجسام مضادة، وقد

أثبتت دراسات أجريت على الذباب، أنه حين يحمل فى جناحه بعض الجراثيم تتولد به أجسام مضادة لهذه الجراثيم « وقد رأينا من قبل أن هذا ليس شأن الذباب وحده »، وفى الحديث الشريف :

« إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه، فإن فى إحدى جناحيه داء وفى الآخر شفاء » (البخارى).

وفى رواية : « إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء، وأنه يقدم السم ويؤخر الشفاء » (أحمد).

والحديث يقرر أولا مالم يعرفه جيل الرسالة عن دور الذباب كناقل رئيسى للأمراض : آية شاهدة على الإعجاز العلمى لما هدى الله به رسوله الكريم.

الفصل الثامن

فى المعارف الهندسية

٨ / ٩ الحديد :

اختص الله سبحانه وتعالى الحديد - دون سائر الفلزات والعناصر- بإشارات هامة فى القرآن الكريم منها سورة الحديد التى جاء فيها :

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد : ٢٥].

لقد أصبح الحديد العمود الفقرى للمنشآت الهندسية وللحضارة، وتشير كل المؤشرات الجيولوجية والمتالورجية إلى أنه سىظل كذلك إلى ماشاء الله فى هذا الكوكب الأرضى، والحديد فى خاماته أكثر العناصر الفلزية القابلة للاستخلاص انتشارا «الألومنيوم كعنصر كيميائى فى المركبات أوفر من عنصر الحديد، إلا أن الغالبية العظمى للألومنيوم فى صورة مركبات ألومينوسليكات (مادة الطين) المستقرة صعبة الاختزال، ويصعب جدا لاعتبارات فنية واقتصادية وغيرها تحويلها إلى الفلز».

لا توجد خامات الحديد نقية فى الطبيعة، بل تختلط - كغيرها من الخامات الفلزية - بالعديد من الشوائب، ولاستخلاص الحديد نقياً يتم أولاً تركيز خاماته لفصل العديد من الشوائب، بغسلها بالماء والمحاليل المائية أو غير ذلك، لتطفو الشوائب على السطح وتفصل بعيداً عن الخام المركز، يستكمل الاستخلاص بعد ذلك بتسخين الخام مع مادة مختزلة وإضافات مناسبة حتى ينصهر الخليط، فتتفصل الشوائب كطبقة من الخبث الذى يطفو فوق الفلز المصهور، ثم يسكب الخبث لىبقى مصهور الفلزنقياً، وقد صور القرآن كلتا العمليتين (غسل شوائب الخام، وفصل الخبث من الفلز) تصويراً صحيحاً معجزاً لمن نزل فىهم بآدى الأمر، وشبه العمليتين

تشبيها جميلا بفعل ماء السيل في إزالة الشوائب من وجه الأرض في الآية :

﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

ينفرد الحديد عن سائر الفلزات في التنوع الشاسع في خواصه وخواص سبائكته، تبعا لنسبة الكربون وعناصر الإشبابة والمعالجة الحرارية والميكانيكية التي تجري عليه، من لدونة وسهولة في التشكيل ألواحا وأنابيب وأعمدة ومسامير وغيرها، إلى مرونة كالزنبرك، إلى صلادة الدروع وصلب العدة، وكلها « منافع للناس »: آية بليغة معجزة من علم الله تحدى بها المكابرين منذ عصر البعثة إلى عصرنا الحديث.

بمعالجات حرارية معينة تكتسب سبائك الحديد والصلب لدونة وسهولة في التشكيل؛ وذلك ماهدى الله سيدنا داود عليه السلام إليه في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَّنَا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

سبائك الصلب خليط من الحديد مع عنصر أو أكثر، هذه العناصر المضافة تغير بنيته الداخلية فتجعله أكثر صلادة أو مقاومة للصدأ أو التآكل أو غير ذلك من خصائص نافعة مطلوبة، ويشير القرآن إلى ذلك الفن بوضوح في قصة ذى القرنين، عندما هداه الله إلى إضافة النحاس المصهور « القطر » إلى الحديد فأصبح صلدا مستعصيا :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٣، ٨٤] (١).

ثم الآيات : ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا . قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا . آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا

جعل ناراً قال آتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا . فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ [الكهف: ٩٤ - ٩٧] (١).

تتميز الفلزات عادة باللدونة أى بقابليتها للتشكيل في درجات الحرارة العادية أو بشيء من التسخين، إلا أنها إذا سخنت تسخيناً شديداً ثم بردت تبريداً فجائياً تفقد الكثير من لدونتها فتصبح قصفة تتكسر أو تتفتت أو تتشقق تبعا لشدة التبريد، وإلى ذلك يشير القرآن في قصة السامري الذي صنع لبني إسرائيل تمثالا عجلا من ذهب، فأمر موسى عليه السلام بتسخين التمثال تسخيناً شديداً « حرقه » ثم تفتيته بالتبريد الشديد في الماء :

﴿ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تَخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه: ٩٧].

٨ / ٢ مواد البناء :

أنبأ القرآن الكريم عن مصدر لمواد البناء استخدمته أم سابقة، هو الطوب المحروق الذي يشكل من خامات الطُّفْل - كطمي النيل أو الطفلة الصحراوية - ثم يحرق ليتماسك، وهذا مصدر لم يكن معروفا قبل القرن الماضي، إلى أن أثبتت الدراسات الأثرية ضمن الآثار المصرية القديمة مباني من اللبن المحروق، التي يعتقد أنها قد شكلت أولا من طين مخلوط بالقش ثم حُرقت بعد ذلك حرقا ذاتيا - قبل أو بعد البناء، وأنى للعرب في الجاهلية أن يحيطوا بهذه الفنون ، قال تعالى :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨].

٨ / ٣ الوقود :

في القرآن الكريم أكثر من إشارة إلى العلاقة بين الشجر الأخضر وبين الطاقة أو النار، حيرت المفسرين القدماء، وهناك أكثر من اجتهاد علمي لتفسير هذه الآيات، وكل منها يؤكد إعجاز النص القرآني، وأقرب الاجتهادات إلى الحقائق العلمية المعروفة أن الشجر هو المصدر الأساسي للتكوين الجيولوجي للفحم وزيت البترول،

(١) نحاسا مذابا (القطر) يتخلل الحديد ويختلط به فيزيده صلابة، وقد استخدمت هذه الطريقة حديثا في تقوية الحديد، فوجد أن إضافة نسبة من النحاس إليه تضاعف مقاومته وصلابته (الظلال) .

(١) يقول المفسرون أن ذا القرنين هو الإسكندر المقدوني (الصفوة - المفسر).

ومنها أن الشجر الأخضر بالذات (أوراقه) بما فيها من مادة الكلوروفيل هو الوحيد القادر على امتصاص طاقة الشمس (المصدر الأم للطاقة على الأرض) أثناء عملية التمثيل الضوئي، والتي تبني فيها خلايا الشجر من ثاني أكسيد الكربون والماء، لينمو قبل استخدامه وقودا بذاته، أو بصوره المتحولة بعد أجيال طوال كالقمح أو الزيت، والشجر الأخضر أيضا مصدر نوع «لا ينضب» من الطاقة المتجددة، وهو الوقود الحيوي، الذي يتم انتاجه من النباتات ومن الفضلات النباتية، وهو مصدر دائم متجدد بإذن الله :

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠] (١).

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَنَّكُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧١،

[٧٢].

٨ / ٤ وسائل الانتقال :

فى معرض حديثه عن تسخير الدواب فى النقل أنبأ المولى عز وجل أنه سيسخر لنا المزيد من الوسائل التى لم يصل إليها علمنا بعد (ويخلق ما لا تعلمون) :

﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٨، ٩] (٢).

كما أشارت مواضع أخرى إلى صناعة السفن الضخمة (الفلك المشحون) فى المستقبل (ذريتهم)، وإلى الطيران (من مثله)، أى ما يطفو أيضا غير السفن:

(١) طاقة الشمس ... فى النبات بالتمثيل الضوئي فى وجود الكلوروفيل (المادة الخضراء) تحول ثانى أكسيد الكربون إلى الكربوهيدرات، ومنها يتكون الخشب ... ومنه القمح النباتى، ومنه يتكون القمح الحجرى بالحرارة والضغط (التحلل إلى الكربون) ... ذكر الاخضرار ليس عفوا بل إشارة إلى الكلوروفيل (المنتخب).

(٢) ويخلق ما لا تعلمون ... ليظل المجال مفتوحا فى التصور البشرى لتقبل أنماط جديدة من أدوات الحمل والنقل والركوب والزينة، فلا يغلق تصورههم ... ولقد وجدت وسائل ... لم يكن يعلمها أهل ذلك الزمان، وستجد وسائل (الظلال)، ويخلق لكم ما لا تعلمون من تسخير قوى البخار والكهرباء وغيرهما، وهذه من أغرب معجزات القرآن، فإن فيها تنبؤا صريحا بما اخترع فى القرنين التاسع عشر والعشرين (المفسر)، وسيخلق ما لا تعلمون من وسائل الركوب وقطع المسافات، مما سخره الله لبني الإنسان، إذا استخدم عقله وفكره واهتدى إلى استخدام كل القوى (المنتخب).

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمُ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ . وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤١، ٤٢].

٨ / ٥ رحلات الفضاء :

ينخفض الضغط الجوى بسرعة كلما ارتفعنا فى الفضاء - وخاصة إذا كان الارتفاع مسرعا، وتجاوز ثلاثة كيلو مترات أو أعلى، مما يسبب صعوبة فى التنفس وضيقا فى الصدر، عبر عنه القرآن المعجز فى الآية :

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

والصعود فى الفضاء يخل بتوازن العينين، فتتهتز المرئيات كما تهتز بالسُّكَّر المبين، وذلك ما لمسهُ رواد الفضاء فعلا عندما خرجوا من الكبسولة الفضائية فى تجارب السباحة فى الفضاء، أليس معجزا أن يقرر القرآن ذلك فى الآيات :

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥] (١).

رغم أن القرآن الكريم، وحى خالق السموات والأرض يقرر أنه قد يكون فى وسع الإنسان من حيث المبدأ أن ينطلق فى الفضاء بإذن الله، متى آتاه الله «السلطان» أى القدرة اللازمة من طاقة وتقنية :

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِّن نَّارٍ وَنَحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٣ - ٣٥] (٢).

(١) سُكَّرَ بصره: أى غشى عليه أو حبس عن النظر أو حير وشخص (الوسيط) وفى التهذيب: قرئ سُكَّرَتْ وسُكَّرَتْ، ومعناها أغشيت، وسدت بالسحر فيتخايل بأبصارنا غير مانرى، وقال أبو عمر والعلاء: ماخوذ من سكر الشراب. الزجاج: يقال سكرت عينه تسكر إذا تحيرت وسكنت عن النظر، أى حبست عن النظر وحيرت (اللسان).

(٢) ثبت حتى الآن ضخامة المجهودات والطاقات المطلوبة للنفاذ من نطاق جاذبية ... لمدة محدودة جدا بالنسبة لعظم الكون ... ويدل ذلك على أن النفاذ المطلق من أقطار السموات والأرض التى تبلغ ملايين السنين الضوئية لإنس أو جن مستحيل (المنتخب).

إلا أن هذه الآيات أيضاً تنبه إلى الأخطار التي يواجهها الصاعد في الفضاء من شهب، ونيازك صلبة ومنصهرة، وأشعة حارقة ومدمرة كالأشعة النووية عامة والأشعة الكونية خاصة، تلك الأخطار التي لم يدركها البشر قبل عصر الفضاء. ومن ناحية أخرى فإنه مهما وقى الإنسان نفسه من هذه الأخطار فهناك استحالة علمية للابتعاد في الفضاء أكثر من مسافة سنين ضوئية (انظر: النسبية) تتناسب مع عمر البشر المحدود، لأنه طبقاً للنظرية النسبية لا يتجاوز جسم مادي سرعة الضوء، فلو انطلق إنسان بسرعة الضوء - جدلاً - وقضى عمره كله في هذه الرحلة وعاش مائة عام فإنه لن يتجاوز واحداً من الألف من قطر هذه المجرة، فما بالك بأقطار سموات الكون، وما بها من بلايين المجرات (١)؟

الفصل التاسع

في حقائق التاريخ

١ / ٩ المنهج التاريخي :

حث القرآن الكريم البشر مراراً وتكراراً على السير في الأرض والترحال لاستكشاف آثار الأمم السابقة لاستقراء التاريخ وسنن الله فيه، وهو نهج لم يتوصل إليه علم التاريخ إلا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر باكتشاف آثار طروادة وحجر رشيد، فانفتحت للبشرية أبواب المعرفة التاريخية، وتأمل الآيات :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [غافر: ٨٢].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٩].

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [الأنعام: ١١].
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [النمل: ٦٩].
﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم: ٩].

(١) يلحظ بعض الباحثين أن الصعود والحركة في السماء يعبر عنها في القرآن بالفعل «عرج» كما في آية الحجر السابقة وكذلك في قوله تعالى :

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ [سبا: ٢].
﴿ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٢) تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) ﴾

[المعارج: ٣، ٤].

من معاني العرج: الميل أو الانعطاف (المعجم الوسيط)، وذلك يتفق مع ما هو معروف من أن الحركة في الفضاء تتخذ دوماً مساراً منحنيًا، والأمر يستحق مزيداً من البحث في أصل ومدلولات «العرج» في لغة العرب، وطبيعة حركة المادة والطاقة في الفضاء.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٢].

﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنَّا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

﴿وَأَنَّهَا لَبِيبٌ مُقِيمٌ﴾ [الحجر: ٧٦].

﴿وَأَنْتُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ (١٣٨)﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨].

٩ / ٢ التاريخ الطبيعي :

كذلك تعتمد دراسة التاريخ الطبيعي، أى دراسة تاريخ تطور الطبقات الجيولوجية للأرض، وتاريخ الحياة على وجهها وفى بحارها، تعتمد على التنقيب فى أنحاء الأرض بحثاً عن الحفريات القديمة وفحصها وتحليلها بالوسائل العلمية، كالفحص المجهرى والتأريخ بالكربون المشع وغيرها، مصداقاً للآية التى تربط بين قدرة الله فى نشأة الخلق أول مرة وفى إعادته مرة أخرى يوم القيامة :

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠] (١).

٩ / ٣ فرعون موسى :

اندثر التاريخ الحافل لقدماء المصريين بانتهاء ما يسمى بالأسرة الحديثة، وتتابع الغزو اليونانى ثم الرومانى، وأسدل التاريخ ستاره على أخبار ذلك الزمان مع ما ابتلعتة أطلال المدن وحريق مكتبة الاسكندرية وغير ذلك من عوامل الدهر، عدا مابقى من روايات فى بعض المخطوطات المتناثرة كتاريخ هيرودوتس، وظل التاريخ سرا

(١) ترى هنا لك فى الأرض مايدل على النشأة الأولى... كالحفريات التى يتتبعها بعض العلماء اليوم ليعرفوا منها خط الحياة، كيف نشأت؟ وكيف انتشرت؟ وكيف ارتقت؟ وكيف وجد فيها أول كائن حى، ويكون ذلك توجيهها من الله للبحث عن نشأة الحياة الأولى، والاستدلال بها عند معرفتها على النشأة الآخرة (الظلال)، تحت على السير فى الأرض ليكشفوا عن كيفية بدء خلق الأشياء من حيوان ونبات وجماد، فإن آثار الخليقة الأولى منطبعة بين طبقات الأرض وعلى ظهرها، وهى لذلك سجل حافل بتاريخ الخليقة منذ بدئها حتى الآن (المنتخب).

مغلقة مدونا فى أعماق المقابر الفرعونية وعلى جذران بقايا المعابد والمسلات، بلغة لم تفك طلاسما إلا مع بدايات القرن التاسع عشر عقب اكتشاف حجر رشيد، ثم فى بدايات القرن العشرين باكتشاف مومياوات الفراعنة - وما يصحبها من كنوز دفينه، وهنالك عرف العالم أيضا مدى حرص الفراعنة على تحنيط جثثهم وخاصة جثث الملوك والعظماء، ظنا منهم أن ذلك يضمن لهم البعث والخلود. لقد كشف ذلك التاريخ عن اعجاز آخر للمعارف القرآنية التى أكدت فى وحى الخالق العليم أن جثة فرعون موسى قد بقيت بعد هلاكه غرقا فى مطاردة نبي الله موسى عليه السلام وأتباعه من بنى اسرائيل :

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتُ قَبْلُ وَكُنْتُ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بَيْنَدِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٢] (١).

ولا ريب أن جثة الفرعون قد انتشلت بعد انتهاء المطاردة واندحار جيش فرعون لتحنط مع مومياوات أسلافه، والتى اكتشفتها الكشوف الأثرية واحدة بعد الأخرى.

ترجح الدراسات التاريخية أن فرعون الخروج هو أمنفتاح (أو مرنبتاح) الذى كان عصره بين عامى ١٢٣١ - ١٢٢٠ قبل الميلاد، والذى ترقد مومياؤه فى المتحف المصرى بالقاهرة، وهناك آراء أخرى تميل إلى كون فرعون الخروج تحتس الثالث (١٥٠١ - ١٤٤٧ قبل الميلاد)، وأيا كان الفرعون فالمومياة قد حنطت وبقيت لتكون عبرة للأجيال، ولم يكن أحد يعرف أن جثث الفراعنة كانت تحنط وأنها ستظهر كلها إلى النور فى الزمان البعيد، وذلك أبلغ برهان على صدق القرآن العظيم.

٩ / ٤ التوراة والإنجيل :

أوحى الله تعالى إلى نبيه الأسمى بآيات تؤكد ضياع وإخفاء مصادر الكتب السماوية السابقة، وتحويرها وتعديلها بأيدي الأحبار والرهبان، : قال تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

(١) يظهر أن الآية الكريمة تشير إلى أن جسم فرعون سيبقى محفوظا ليراه الناس (منذ) ... فى أواخر القرن الـ ١٣ قبل الميلاد الأسرة ١٩ (يعتقد أنه) منفتاح بن رمسيس (المنتخب).

﴿قَوْلِ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلِ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦].

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بَايَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمُ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ

مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْزِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مُوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرِ قُلُوبُهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَرْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيُزِيدَنَّهُمْ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨].

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقد ألقى البحث التاريخي الحديث الضوء على تطور نصوص العهد القديم والجديد، والتي تختلف اختلافًا بينا عن النصوص الأصلية لكل من التوراة العبرية والإنجيل الآرامي، والتي لا يعرف لها أثر أو مكان، ولم تبدأ كتابة النصوص الحالية للتوراة إلا بعد رحيل موسى بأكثر من ألف عام، وتضم «التوراة» -إلى جانب ما بقي من وصايا موسى- التراث الشعبي والتاريخي والقضائي لبني إسرائيل عبر الأجيال،

وأصبح من العسير وصفها بأنها «كتاب سماوى»، أما الإنجيل (العهد الجديد) فيضم أربع أناجيل باسم متى ومرقس ولوقا ويوحنا، ويعتقد أنها كتبت خلال القرن الثانى بعد رحيل المسيح عليه السلام، ويشك المؤرخون كثيرا - كما جاء فى دائرة المعارف البريطانية - فى نسبة هذه الأناجيل إلى أصحابها، وهذه الأناجيل فى صياغتها إنما هى سرد لحياة عيسى عليه السلام، وقد حفلت فيما بينها باختلافات بينة، لا شك مرجعها إلى أن من كتبوها بشر مختلفون؛ فى أزمان وأمكنة مختلفة، ثم جرت عليها الأيدى بالتعديل على مدى العصور، ولا يتسع المجال هنا لحصر وسرد هذه الاختلافات، سواء بين الأناجيل الأربعة بعضها البعض وأحيانا بين إصحاحات نفس الإنجيل، وكذلك العبارات والروايات التى تتعارض مع المنطق، مما لا يتسع له مجال هذا البرهان، وبينتها دراسات النصوص المسيحية المعتمدة (انظر المراجع)، ولكننا نذكر منها كمثال رئيسى بارز ما يتعلق بمولد المسيح وما يتعلق بقصة صلبه، تناول كل من إنجيل متى وإنجيل لوقا نسب عيسى من جهة أب هو يوسف النجار خطيب السيدة مريم العذراء، بينما المسيح عليه السلام - مثله كمثال أبينا آدم عليه السلام - لا أب له، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تختلف سلسلة النسب اختلافا شبه تام بين روايتى متى ولوقا، كذلك حفلت روايات صلب وقيام المسيح بتناقضات بين الأناجيل الأربعة، ولم يشهد الحواريون صلب المسيح ولم ينقل عن أى منهم رواية قاطعة، ومن أبرز ما يتضح من تحليل رواية الأناجيل - طبقا لرواية إنجيل يوحنا - أن من ظنوه عيسى؛ عندما أنزلوه من الصليب على عجل قبل عطلة السبت؛ كان حيا بدليل العبارة الآتية:

(وأما يسوع فلما جاءوا اليه ليكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات، لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء - يوحنا ١٩/٣٣-٣٤)، وهذه الرواية تتناقض مع ما جاء فى بقية الأناجيل عن مشهد الصلب، ومن ناحية أخرى عندما التقى عيسى عليه السلام بحوارييه بعد محاولة الصلب كان بشرا حيا ولم يكن روحا آتية من العالم الآخر، ولكى يؤكد لهم ذلك - بنص الأناجيل - ويطمئنهم جاء فى إنجيل لوقا: (فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحا فقال لهم: ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار فى قلوبكم، انظروا يدي ورجلي إني أنا هو، جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى، وحين قال هذا أراهم يديه ١٩ جلته، وسنما هم غم مصدقين من الفرح ويتعجبون قال لهم أعندكم هاهنا

معم فناولوه جزء من سمك مشوى وشيئا من شهد غسل فاخذ وأكل قدامهم - لوقا ٢٢/٣٧-٤٣).

اما قصة قيامة المصلوب من قبره بشهادة مريم المجدلية، فروايات الأناجيل الأربعة من أربع روايات مختلفة عن بعضها لا تتفق فيها رواية مع الأخرى، كما يظهر بمقارنة الإصحاحات:

متى ٢٨، مرقس ١٦، لوقا ٢٤، يوحنا ٢٠.

صدق الله العظيم فى كتابه الكريم:

﴿وَيَكْفُرْهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا . وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ سَلَّمَ اللَّهُ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا . بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦ - ١٥٨].

ولم يكن الرسول ﷺ ولا قومه (ولا أتباعه من السلف الصالح لبضع قرون على الأقل) يعرفون تفاصيل ما أكدته القرآن الكريم وإلا لتناولوها ﷺ فى حديثه للرد على أهل الكتاب، ومن المعروف أيضا أنه لم تظهر نسخة عربية من الكتاب المقدس (سورة والأناجيل) إلا حوالى القرن العاشر الميلادى.

١/ محمد فى الخطاب القرآنى :

نكرر فى الخطاب القرآنى عتاب للرسول الكريم بعضه يحمل شيئا من تحذير وبعضه ينبئ بما يدور فى أعماق نفسه الطاهرة من مشاعر لا يبيديها شئ، ويصعب على العقل السليم أن يتخيل أن الرسول يعاتب نفسه بآيات من عبده، ثم يبلغها للناس ويستبقيها فى النص القرآنى دون نسخ أو حذف أو نسيان، وما ذلك برهان آخر على أن القرآن وحى السماء كلام الله يخاطب به النبى البشرى لى بلغ الرسالة كما جاءته وأدى الأمانة بصدق، صلوات الله عليه وتسليماته، ونقرأ هذه الآيات ولنتدبر طبيعة الخطاب بين الله تعالى المخاطب والنبى الأمين مخاطب:

﴿وَلَوْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ

وَلَمَّا أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿البقرة: ١٢٠﴾

﴿وَلَمَّا أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَمَّا أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا . وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا . وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا . يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا . هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٥ - ١٠٩]

﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٩٩]

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُنَا الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَا وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ . وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ . وَإِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٣ - ٣٥]

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدَهُمْ فَكَوْنُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧]

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤]

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَاطٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]

﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]

﴿وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّاءٍ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٌ عَظِيمٌ . قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٥، ١٦]

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]

﴿وَآتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [هود: ١٢].

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَنْ تُجِيبُوا أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: ٣٧، ٣٨].

﴿ وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضُ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ [الرعد: ٤٠].

﴿ لَا تَسُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨].

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٥].

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ . وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٩].

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا . وَلَوْلَا أَنْ تَبَسَّاتُ لَقَدْ تَرَكْنَا إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا . إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٥].

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ

جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الأحقاف: ٩].

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ [القلم: ٤٨].

﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يَجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا ﴾ [الجن: ٢٢].

﴿ إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا . لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٧، ٢٨].

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ . فَإِذَا قُرْآنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٨].

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يُزَكَّى . أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى . أَمَّا مَنْ اسْتَعْصَى . فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى . وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى . وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى . وَهُوَ يَخْشَى . فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى . كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ [عبس: ١ - ١١].

﴿ سَتَقَرُّكَ فَلَا تَنْسَى . إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾ [الاعلى: ٦، ٧].

٦ / ٩ محمد بشارة موسى وعيسى :

كشف القرآن عما كان مستورا في نصوص التوراة والإنجيل عن التبشير ببعثة محمد ﷺ خاتما للمرسلين، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١].

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا

يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ [آل عمران: ١٩٩].

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

﴿وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ . أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٦، ١٩٧].

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ . وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لِأَرْتَابِ الْمُبْطُلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧، ٤٨].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠].

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

لم يكن النبي يعرف من هذه النصوص شيئا، ولو عرفه لأعلنه للملأ، وكما أوضحنا - كما ثبت تاريخيا - أنه لم تكن ثمة ترجمة عربية لا للعهد القديم ولا العهد الجديد وقت نزول القرآن وبعده بعدة قرون؛ وإلا أثبتتها أو أشار إليها التراث العربي الزاخر.

أ - تتضح هذه النبوءات جلية في سفر التثنية من العهد القديم الذي جاء فيه أن رسالة التوحيد ستظهر في أمة أخرى، وأن نبيها سيكون من أبناء عمومته:

(يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون - تثنية ١٥/٨).

وجاء في سفر التثنية أيضا:

(أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمهم فيكلمهم بكل ما أوصيه به - تثنية ١٨/١٨)

والذي يدل على أن النبي المنتظر من أبناء إسماعيل قوله: «من إخوتكم» أي من أبناء إسماعيل لا أبناء اسحاق وإلا لكان يقال «نبي منكم أو من ذريتك» وأنه سيكون نورا صادرا من جزيرة العرب:

(وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته فقال: جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعيير وتلألا من جبل فاران (جبل بمنطقة مكة) - تثنية ٣٣/١-٢)

ومثله في نبوءة أشعيا:

(وحى من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين، هاتوا ماء لملاقاة العطشان يأسكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه، فإنهم أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة، ومن أمام شدة الحرب - أشعيا ٢١/١٣-١٥).

ب - وأنه أمي لا يعرف الكتابة:

(أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة - أشعيا ٢٩/١٢)

أي أنه لن يأتي بكلام من عنده بل سيردد ما يوحي إليه مصداقا للآيات:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ١٠].

﴿ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة : ١٦ - ١٩] (١).

﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُو عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴾ [الرعد : ٣٠].

﴿ وَمَا كُنْتُ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ يَدِيكُمْ إِذَا لَأَرْتَابَ الْمُسِطَلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨].

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الاحقاف : ٩].

جـ - وأنه سيكون مثل موسى كما جاء في سفر التثنية من العهد القديم :

(أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصى به - تثنية ١٨ / ١٨).

أى صاحب رسالة جديدة للعالمين خلافا لعيسى عليه السلام الذى كانت رسالته خاصة ببني اسرائيل لتصحيح ما عرفوه من تعاليم موسى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الاعراف : ١٥٨].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ :

٢٨].

بينما جاء في الأناجيل :

(لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل) (متى ١٧ / ٥).

(فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بني اسرائيل الضالة - متى ٢٤ / ٥).

(هؤلاء الإثنى عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت اسرائيل الضالة - متى ١٠ / ٥ - ٦).

كذلك تزوج موسى وقاد بنى اسرائيل وأتى بشرائع وأحكام عملية، مثله فى ذلك مثل محمد ﷺ، وما كان ذلك شأن عيسى .

أما الانجيل فقد أتى ببشارة محمد بوصفه « المعزى » فى النص العربى المتداول، وهو المقابل لكلمة Comforter الإنجليزية وكلاهما مترجم عن كلمة « باراكليتوس » اليونانية فى الترجمة اليونانية للإنجيل :

(لكنى أقول لكم الحق أنه خير لى أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتاكم المعزى، ولكن إن ذهب أرسله اليكم - يوحنا ١٦ / ٧).

(إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية - يوحنا ١٦ / ١٢ - ١٣).

وقد أثبت البحث فى أصل كلمة « باراكليتوس » أنها مأخوذة من العبرية « بيرقليط » بمعنى المحامى أو المدافع، وقد بين البحث فى تاريخ اللغة أن هجاء هذه الكلمة فى العبرية القديمة يطابق هجاء كلمة « بارقليط » التى تعنى بالعبرية « المستوجب للحمد أو المحمود أو الحمد »، إذ لم تكن حروف المد بعد مستخدمة فى الكتابة العبرية قبل القرن الخامس الميلادى .

كما أكدت نصوص الأناجيل (النص السابق : يوحنا ١٦ / ١٢ - ١٣) أن الرسول لن ينطق من تلقاء نفسه بل سيبلغ ما يوحى اليه، وأنه سيأتى بعد وحيل عيسى (كما فى يوحنا ١٦ / ٧ أعلاه)، وأن رسالته ستنتطق من أمة أخرى غير بنى اسرائيل .

(قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب، الحجر الذى رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا، لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تحمل أثماره - متى ٢١ / ٤٢ - ٤٣).

(١) كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه يريد أن يحفظه فأنزل الله الآية... قال ابن عباس : فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه

السلام أطق واستمع، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله عز وجل « الصفوة »

فى كشوف أثرية حديثة، عثر على كهف بمنطقة «الرقيم» المشار إليها فى الآية : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف : ٩] (١).

تبعد منطقة الرقيم سبعة كيلو مترات عن عَمَّان، وقد وجدت بجدران الكهف عبارات التوحيد، محفورة بلغات قديمة. تصميم فتحات الكهف يحقق ما جاء بالآية التالية عن حماية منتصفه من نفاذ أشعة الشمس، سواء من المشرق أو من المغرب :

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف : ١٧].

وفى قصة أهل الكهف آية علمية أخرى، هى «الضرب على الآذان» بمعنى تعطيل حاسة السمع، حتى يستمر نومهم الطويل، إذ أن السمع هو الحاسة الوحيدة التى تعمل أثناء النوم :

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف : ١١].

وكذلك من آيات هذه القصة : الإشارة إلى التقلب المستمر لأهل الكهف يمنا ويسرة أثناء نومهم الطويل، آية أخرى من آيات الإعجاز، فقد أثبت علماء طب الجلد أن النوم الطويل يؤدى إلى قرح الفراش، وانسداد الأوردة الدموية؛ والضغط على أعصاب القدمين، ومن هنا يبدو إعجاز القرآن فى الإشارة إلى اللطف الإلهى بتقلبهم طوال نومهم الطويل :

﴿وَتَحْسِبُهُمْ يَقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف : ١٨].

(١) ذهب معظم المفسرين - قبل اكتشاف المنطقة - إلى أن الرقيم هو لوح كان مكتوبا فيه أسماء أهل

الفصل العاشر

فى نبوءات المستقبل

١ / ١٠ إعجاز القرآن وحفظه

أ - وعد الله سبحانه بحفظ القرآن الكريم وبقائه إلى آخر الزمان؛ بعهد الله وقسمه، وقد كان، فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى لم يعتره تعديل ولا تحريف ولا اختلاف :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] (١).

والحفظ الذى تكفل به الله سبحانه وتعالى هو للقرآن دون سائر الكتب السماوية، كما يتبين من مقارنة الآية بآية [المائدة : ٤٤] :

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

فالحفظ للكتب السماوية السابقة كان منوطا بأهل التوراة وأهل الإنجيل فما رعوها حور رعايتها، كما بينا من قبل (انظر ٤ / ٩).

ب - النبوءة القرآنية بأن العلم سيتقدم، وسيتعرف البشر على المزيد من آيات الإعجاز فى رسالة الإسلام - وهو ما تحقق فعلا - هى فى حد ذاتها (أى النبوءة)

(١) معجزة شاهدة بريانية هذا الكتاب... الأحوال والظروف والملايسات والعوامل التى تقلبت على هذا الكتاب فى خلال هذه القرون ماكان يمكن أن تتركه مصونا محفوظا لاتبدل فيه كلمة، ولا تحرف فيه جملة، لولا أن هناك قدرة خارجة عن إرادة البشر، أكبر من الأحوال والظروف والملايسات والعوامل، تحفظ هذا الكتاب من التغيير والتبديل، وتصونه من العبث والتحريف... (مثل) ماصنعت الفرق فى الحديث وما ترتب عليه من جهد لغزلة السنة، وفى تأويل معانى القرآن ولكنها عجزت عن تحريف (نص) القرآن، ثم أعداء هذا الزمن... والكيد للمسلمين ودين الله، وقدروا على تزوير التاريخ... ولكنهم لم يقدرُوا على شىء واحد - والظروف الظاهرية كلها مهيأة له - لم يقدرُوا على إحداث شىء فى هذا الكتاب المحفوظ (الظلال).

إعجاز علمي تاريخي أكدته ويؤكد، يوما بعد يوم، تاريخ العلوم المطرد:

﴿سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] (١).

﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ . وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٧، ٨٨].

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣].

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩] (٢).

وهنا أيضا لم يدرك المفسرون القدماء مغزى «تأويله» فصرفوا المعنى إلى أن المقصود هو ما سيأتيهم من الوعيد، رغم أن سياق الآيتين في سورة الأعراف وسورة يونس يتحدث عما جاء به القرآن من علم، فتسبق آية الأعراف: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ...﴾ الآية:

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢].

(١) ولقد صدقهم الله وعده، فكشف لهم عن آياته في الآفاق خلال القرون الأربعة عشر التي تلت هذا الوعد، وكشف لهم عن آياته في أنفسهم، وما يزال يكشف لهم في كل يوم عن جديد (الظلال)، سترتهم دلائلا بصحته في نواحي الأرض وفي أنفسهم أي وفي مجتمعهم (المفسر).

(٢) لقد كذبوا بالوحي بالقرآن وصدق ما فيه من الوعد والوعيد: لقد كذبوا بهذا وليس لديهم من علم يقوم عليه التكذيب، ولما يأتهم تأويله الواقعي بوقوعه (الظلال)، بل كذب هؤلاء المشركون وسارعوا إلى الطعن به قبل أن يفقهوه ويتدبروا ما فيه، والناس دائما أعداء ما جهلوا (الصفوة)، من غير أن يتدبروا ويعلموا ما فيه، فلم ينظروا فيه بأنفسهم، ولم يقفوا على تفسيره وبيان أحكامه بالرجوع إلى غريم (المنتخب)، بل كذبوا بشيء لم يعرفوه ولم يجتهدوا تأويله بعد (المفسر).

وكذلك آية يونس ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ...﴾ تسبقها الآية الآتية:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

أي أن الفهم الصحيح والتأويل السليم لآيات القرآن سيأتي بعد حين يشاء الله.

جـ - تحدى القرآن أن يأتي البشر - كل البشر أفرادا أو مجتمعين - أن يأتوا بما يضاهاى البيان القرآني، وتنبأ بعجزهم جيلا بعد جيل، كما في التحدى الذي جاءت به آية (يونس / ٣٨)، وفي هذه الآيات:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [الإسراء: ٨٨].

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القصص: ٤٩].

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ . فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤].

وقد كان: فلم يكتب بشر ما يضاهاى في بلاغته - ولو ادعاء - بلاغة القرآن، وقد تكفل علماء العربية والإسلام بدراسة النص القرآني وتحليله، ومقارنته بلغة اللسان العربي وآدابه في القديم والحديث، وبرهنوا على تميز الخطاب القرآني واستعصائه على المحاكاة (١)، وما زالوا يستكشفون المزيد من أسرار البيان القرآني، ويبقى القرآن معجزة بلاغية ماثلة إلى آخر الزمان.

(١) ولعل من إعجاز النص القرآني أيضا ما لاحظته بعض الباحثين من موافقات في تكرار بعض الألفاظ المتقابلة مثل: الشياطين والملائكة (٨٨ مرة بصيغها المختلفة)، الدنيا والآخرة (١١٥ مرة)، والسيئات والصالحات (١٨٠ مرة بمشتقاتها)، القرآن والوحى (٧٠ مرة لكلا منهما).

أ - تنبأ القرآن مقدما بكل ما كان من استمرار الدعوة الناشئة في أحلك الظروف وأقساها، وبحفظ الله تعالى نبيه من تأمر الكافرين على اغتياله، وبفتح مكة ودخول الكعبة وتطهيرها من الأصنام، كما تبينها الآيات المتتالية الآتية:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥] (١).

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١ - ٣].

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

ب - كما تنبأ بموت نفر من الكفار بعينهم على الكفر، وقد كان، ولم يكن ثمة ما يمنع إسلامهم، وقد أسلم من كانوا أشد منهم عداء للإسلام كعمر بن الخطاب رضي الله عنه وخالد بن الوليد، فنزلت الآيات:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهُودًا . وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقَتَلَ كَيْفَ فَدَرَّ . ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ فَدَرَّ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأُصْلِحَ لَكَ سَقَرٌ﴾ [المدثر: ١١ - ٢٦].

نزلت في الوليد بن المغيرة.

(٢) «لرادك إلي معاد»، لرادك إلي الأرض التي اعتدتها، وهي مكة، أو من مصدر «عاد» (المفسر)، وعد

﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْبَى لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ [المسد: ١ - ٥].

نزلت في أبي لهب وزوجه.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ . وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنِيَ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦، ٧] (١).

نزلت في النضر بن الحارث.

١٠ / ٣ هزيمة الفرس:

مما جاء به القرآن من نبوءات تاريخية، هي من الغيب الذي لا يعلمه إلا خالق الكون القيوم سبحانه وتعالى، ما تحقق نبوءة بعد الأخرى. من أشهر النبوءات اندحار الفرس أمام الروم في بضع سنين من نزول الآية:

﴿الْم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بضع سنين لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [الروم: ١ - ٦] (٢).

(١) في بعض الروايات أنها في النضر بن الحارث يشتري كتب أساطير الفرس ويجلس في طريق الداهيين إلى رسول الله ﷺ، ولكن النص أعم... إذا صح أنه وارد فيه... (الظلال)، وروى أن النضر بن الحارث كان يشتري المغنيات، فلا يظفر بأحد يريد الإسلام، إلا انطلق إلى قينته المغنية، فيقول لها: أطعميه واسقيه الخمر وغنيه، ويقول: هذا خير مما يدعوك إليه... (الصفوة).

(٢) الأولى انتصار الفرس في بلاد الشام بقيادة خسرو ابرويز أو خسرو الثاني المعروف بكسرى على الروم بقيادة جيراكليوس الصغير المعروف بهرقل عام ٦١٤ م واستولى على أنطاكية ثم دمشق، ثم حاصروا بيت المقدس وأحرقوها ونهبوها وذبحوا، ودمروا كنيسة القيامة، ورد هرقل الكرة عليهم في معركة على أرض أرمينية عام ٦٢٢ م (الأول من الهجرة)، كان فاتحة انتصارات الروم (المنتخب)، وفي حديث رواه ابن جرير بإسناده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: كانت فارس ظاهرة على الروم، وكان المشركون يحيون أن تظهر فارس على الروم؛ وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، وهم أقرب إلى دينهم. فلما نزلت: ألم. غلبت الروم... (الآية) قالوا: يا أبا بكر إن صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين قال: صدق. قالوا: هل لك أن نقامرك (قبل تحريم الرهان)، فباعوه علم أربع قلائص إلى سبع سنين. فمضت السبع ولم يكن =

والبضع لغة : ما بين الثلاث والتسع، وقد كانت كل الدلائل تشير إلى العكس،
أى إلى النصر النهائي للفرس .

١٠ / ٤ فساد البيئة :

تنبأ القرآن الكريم بما سيصيب البيئة الأرضية من تدهور وفساد بفعل البشر،
وأطماعهم وسوء استخدامهم لما أنعم الله عليهم فى الأرض والموارد، وغفلتهم عن
حمل أمانة عمارة الأرض وإصلاحها والتعاون على الخير، التى حملهم إياها الله
سيحانه وتعالى، وهذا ما تنطق به الآيات :

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ﴾ [الروم : ٤١] (١).

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف : ٥٦].

الجمع بين البر والبحر يؤكد أن المقصود هو فساد البيئة، فلو ذكر البر فقط لربما
فهم المقصود بأنه الفساد الناشئ عن الظلم والاستبداد والحروب؛ وهو ما ذهب إليه
بعض المفسرين من القدماء، ولكننا نتساءل : أى فساد يصيب البحار من جراء
صراعات البشر، إن المعنى المباشر ظاهر ولا مجال فيه للتأويل .

فى التنبؤ بأن الإنسان مهما بلغ علمه وزادت معرفته لن يكون - بغير هدى الله -
أهلاً لمسئولية الحفاظ على نعم الله فى الأرض قال تعالى أيضا :

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا
وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب : ٧٢].

= شئ، ففرح المشركون بذلك، فشق على المسلمين، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : ما بضع سنين
عندكم، قالوا : دون العشر، قال : اذهب فزادهم وازدد سنتين فى الأجل . قال فما مضت السنتان
حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس، ففرح المؤمنون بذلك (الظلال) .

(١) قال البيضاوى : المراد بالفساد الجذب وكثرة الحرق والغرق، ومجق البركات وكثرة المضار (الصفوة)،
كالجذب والأمراض المحتاجة، وحوادث الغرق، وطغيان الأنهار، والزلازل بما كسبت أيدى الناس من
الذنوب (المفسر)، الحرق والقحط والآفات وكساد التجارة والغرق، بسبب جرائم وآثام الناس

١٠ / ٥ علامات الساعة :

حدث المصطفى صلى الله عليه وسلم بما أعلمه به الروح الأمين مما سيحدث من
إرهاصات لقيام الساعة وعلامات لها، ومنها علامات صغرى تتوالى على امتداد
الزمان حتى اقتراب القيامة؛ ثم علامات كبرى بين يدى الساعة لا تغنى بعدها توبة،
ولا ينفع إيمان نفس لم تكن آمنت من قبل .

جاءت أحداث التاريخ وما وقعت به من العلامات الصغرى - التى أنبأت بها
الأحاديث المطهرة - برهانا ساطعا على صدق الرسول وصدق الرسالة، ولنتدبر هذه
الأحاديث :

«إذا رأيت الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان فانظروا الساعة»
(البخارى ومسلم) .

«ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه
من غباره» (أبو داود وابن ماجه) .

«لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر
الفتن، وحتى يتطاول الناس فى البنيان» (البخارى) .

«إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب
الخمر» (البخارى ومسلم) .

«صنفان من أمتى من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون
بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة،
لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها» (مسلم وأحمد)

«من علامات اقتراب الساعة تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال» (أبو نعيم
فى الحلية) .

«إن بين يدى الساعة تسليم الخاصة» أن يخص إنسانا بالسلام بدلا من إفشائه،
وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وفشو القلم،
 وظهور الشهادة بالزور، وكتمان شهادة الحق» (البخارى) .

«لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين، لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتى أمر

ولنقارن بوقائع التاريخ:

— أصبح العالم شئنا أو لم نشأ يتعامل بالربا، فالنظام النقدي العالمى المتشابه الذى ترتبط به كل دول العالم وتوجهه المؤسسات المالية الكبرى (التي يسيطر عليها اليهود) نظام ربوى، والنقد الورقى الذى تسير به كل معاملتنا له غطاء ذهبى غير مستقر؛ وإنما يتراوح صعودا وهبوطا مع أسعار العملات وتقلبات أسواق الأوراق المالية؛ ومعنى ذلك أن القيمة الفعلية لأى مال تملكه يضاف إليها ربا أو يخسر منها يوما بعد يوم.

— الزنا ومعاقة الخمر والخدرات: تفشو كالوباء فى كل المجتمعات؛ وأصبح الإعلام والفن العالمى لترويج هذه الشرور له الصوت الأعلى، بل كاد ينفرد بتوجيه عقل البشر فى كل المجتمعات.

— قبض العلماء: أين هم فى أسواق عكاظ الجاهلية المعاصرة، التى ابتكرت وسائل للنشر والتأثير لا تتسع إلا للملحدين والمفسدين.

— قطع الأرحام: وقد تمزقت الأسر؛ ولم يعد لها وجود فعلى إلا فى بعض المجتمعات التى لم يزل فيها بقية من دين.

— فشو التجارة: وقد أصبح العالم سوقا واحدا تتصل أسواقه المالية بالحاسبات والأقمار الصناعية، وتسيطر على تجارته الشركات متعددة الجنسيات التى توجه الصفقات والأسعار؛ وأيضا السياسات والحكومات.

— التطاول فى البنيان: وقد وصلت ناطحات السحاب لمدى لم يكن يتخيله من جاء بالنبوة ﷺ، وقاد هذا الاتجاه سكان القارة الأمريكية، الذين كان أسلافهم من المهاجرين من شتى البلاد الأوروبية؛ ومن قاع مجتمعاتها واشتهروا لأجيال طويلة بأنهم رعاة البقر.

— تشبه الرجال بالنساء والعكس: أصبح سمة بارزة فى الأمم التى تسيطر على شعوب الأرض، بل أصبح الشذوذ هنالك نظاماً يقف للزواج الطبيعى ندا لند.

— طائفة على الحق ظاهرة: فلم يندثر الإسلام رغم تطاول الزمان وتكالب الأعداء، بل قرض له فى كل حبل من بحر موات القلوب، ويبعث مدا جديدا للإسلام.

أحداث القيامة من أمر الله تعالى لا يكشفها ولا يجليها لوقتها إلا هو، وقد حذرت الآيات القرآنية وأُنذرت من أهوال ذلك اليوم، ووصفتها صفات تقريبها إلى أذهاننا، وتتفق مع كل ما يكشفه الله لعباده من معارف ومفاهيم؛ فيظل القرآن دائما صادقا معجزا.

تتطابق كثير من علامات الساعة مع ما ندركه عن الكون وطبيعته؛ مثل انشقاق الغلاف الجوى:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] انشقت: تصدعت، أو انفطاره:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] وانفطرت: انشقت.

ومثل تكور النجوم الغازية عندما يتقدم بها العمر فتبرد وتنكمش، وتتحول إلى ما يعرف بالقزم الأبيض وهو ما لوحظ عمليا فى الدراسات الفلكية، كما جاء فى آيتين عن تكور الشمس وانكدار النجوم:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ١، ٢] (١).

بينما تنفتت الكواكب الصلبة «تنتثر» عند اختلال النظام الكونى:

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢] (٢).

وتفجير البحار كما فى الآية: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣] (٣).

وكشط الغلاف الجوى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١] (١).

(١) كورت الشمس: جمع ضوؤها وصار كالكرة (الوسيط) قال أبو عبيدة: كورت مثل تكوير العمامة تلف فتمحى، وقال قتادة: كورت ذهب ضوؤها، وهو قول الفراء (اللسان)، قد يعنى برودتها وانطفاء شعلتها وانكماش ألسنتها الملتهية، واستحالتها من غاز حرارته ٢٠٠٠°... إلى حالة تجمد مثل قشرة الأرض... قد يكون هذا، وقد يكون غيره (الظلال).

(٢) نثر الشيء: رمى به متفرقا، وانتثر: تفرق (الوسيط).

(٣) تفجير البحار: يحتمل غمرها لليابسة، كما يحتمل تفجير مائها إلى عنصريه الأكسجين والهيدروجين، فتتحول مياهها إلى هذين الغازين، كذلك يحتمل تفجير ذرات هذين الغازين (الصواب: الإيدروجين فقط) كما يقع فى تفجير القنابل... والهيدروجينية اليوم، أو أن يكون بهيئة أخرى غير مايعرف البشر (الظلال).

(٤) كشطه كشطا: أزاله عنه، يقال كشط الجلد عن الذبيحة (الوسيط) وكشف الغطاء عن الشيء: قلعه ونزعه وكشفه عنه (اللسان).

ومثل ضالة الحجم الحقيقي لمادة الكون بالنسبة لاتساعه، والتي انطلقت لتملأ الكون أجراما سماوية متباعدة؛ حتى تتجمع ثانية بأمر الله يوم القيامة:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] (١).

أكد المولى جل وعلا استحالة معرفة وقت الساعة أو التنبؤ به، وهذه الاستحالة يؤكدتها العلم الحديث؛ بسبب واضح أشرنا إليه عند الحديث عن أبعاد الكون الذى يضم بلايين المجرات أقربها إلى مجرتنا على بعد ٧٠٠٠٠٠ سنة ضوئية بينما يقطع الضوء داخل مجرتنا وحدها ٥٠٠٠٠ سنة ليصل إلى حافتها (من المركز)، ومعنى ذلك ببساطة شديدة أن أعظم أجهزة الرصد على كوكب الأرض لا تستطيع أن ترى أو تكشف حدثا كونيا ضخما داخل مجرتنا؛ إلا بعد سنين أو عشرات أو مئات أو آلاف السنين من وقوعه (فما بالك بحدث فى مجرة بعيدة)، فإذا بدأت الأحداث الكونية الممهدة للقيامة بانفجار نجم أو نجوم، أو اصطدام أجرام سماوية بجسم من داخل المجرة أو خارجها (بما يخل بتوازن المجرة بما فيها مجموعتنا الشمسية)، فإننا لن ندرك أو نبصر الحدث فى حينه وسنظل غافلين عنه دهورا حتى تقع الواقعة فعلا فى أرضنا وتصيبنا أهوالها، ما الذى يدرينا أن مقدمات الساعة لم تبدأ فعلا فى مكان ما فى أرجاء الكون الفسيح، ومن الذى يستطيع -علميا فى ضوء هذا التحليل- أن ينكر احتمال أن تأتينا تداعياتها بغتة فى أى لحظة، أليست هذه آية كبرى على صدق وإعجاز القرآن الكريم الذى يؤكد مرارا استحالة التنبؤ بالقيامة واستئثار الله تعالى بمعرفتها، وصدق الله العظيم:

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لَتُخْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه: ١٥].

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى:

[١٧].

﴿اِقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

(١) طه، الشراء طبا: ضم بعضه علم، بعض، أو لف بعضه فوق بعض (الوسيط).

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٧].

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥].

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف: ٦٦].

﴿بَلْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَفُتِنَتْهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٠].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

﴿إِلَيْهِ يَرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٧].

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: ٨٥].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا . إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٤].

وصدق الله العظيم فى كتابه المعجز الكريم

الفهارس التحليلية

١ - كشف الشواهد القرآنية (بترتيب آيات المصحف)

رقم الموضوع	الآية رقم سورة	رقم الموضوع	الآية رقم سورة	رقم الموضوع	الآية رقم سورة
٣/٦، ١/ت	٣ المائدة	٣/ت ٢٦٩	٣/ت ٧ آل عمران	٦/٣ ٢٢ البقرة	
٤/٩ ١٥	٦	٣/ت ١٨	٤/٩ ١٩	٣/ت ٣٣	
٤/٩ ٤١		٣/٣، ٢/١ ٢٧	١١/٦ ٤٩	٤/٩ ٧٥	
١/١٠ ٤٤		٤/٩ ٧١	٤/٩ ٧٨	٤/٩ ٧٩	
٥/٩ ٤٩		٤/٩ ٧٨	٤/٩ ٨١	٥/ت ١٠٣-١٠٢	
٤/٩ ٦٦		٤/٩ ٩٣	١/٩ ١٣٧	٥/٩ ١٢٠	
٥/٩ ٦٧		٤/٩ ١٨٧	٤/٩ ١٩١-١٩٠	٥/٩ ١٤٥	
٤/٩ ٦٨		٦/٩ ١٩٩	٦/٩ ١٧١	٤/٩ ١٤٦	
٢/١٠ ٧٧		٩/٦ ٢٥ النساء	٣/٦ ١٧٣	٤/٩ ١٥٩	
٦/٦ ٩١-٩٠		١٣/٧ ٤٣	٤/٩ ١٧٤	٦/ت ١٦٤	
٥/٩ ٩٩		٤/٩ ٤٦	٤/٩ ١٧٦	٢/ت ١٦٧-١٦٦	
٢/ت ١٠٥-١٠٤		٨/٥ ٥٦	٢/٦ ١٨٥-١٨٣	٢/ت ١٧٠	
١١/٦ ١١٠		١/ت ٨٢	١/ت ١٩١-١٩٠	٥/ت ١٧١	
		٤/٧ ١٠٣	٦/٦ ٢١٩	٣/٦ ١٧٣	
١/٩ ١١ الأنعام		٥/٩ ١٠٩-١٠٥	٧/٦ ٢٢٢	٤/٩ ١٧٤	
٥/٩ ١٤		٤/٩ ١٥٨-١٥٦	٨/٦ ٢٢٨	٤/٩ ١٧٦	
٦/١٠ ٣١		٣/ت ١٦٢	٥/٦ ٢٣٣	٢/٦ ١٨٥-١٨٣	
٥/٩ ٣٥-٣٣			٢/٢ ٢٥٥	١/ت ١٩١-١٩٠	
١/٤ ٣٨			١١/٣ ٢٦٥	٦/٦ ٢١٩	
٥/٩ ٥٠				٧/٦ ٢٢٢	
٥/٩ ٥٢				٨/٦ ٢٢٨	
١/١٠ ٦٧				٥/٦ ٢٣٣	
٧/٢ ٧٩-٧٥				٢/٢ ٢٥٥	
٤/٩ ٩١				١١/٣ ٢٦٥	

الآية رقم	سورة	الآية رقم	سورة	الآية رقم	سورة	الآية رقم	سورة	الآية رقم	سورة	الآية رقم	سورة	الآية رقم	سورة	الآية رقم	سورة
٦/١٠	٥٥	٧/٩	١٧	١/١	٢١	٢/ت	٨٧	٥/٩	٢٠٣	٢/١	٩٥	١٢/٥	٩٤	٥/٩	٢٠٥
٣/٣	٦١	٧/٩	١٨	٧/٣	٢٢	٢/ت	٩٧-٩٦	١/ت	٢٢/٢١	٦/ت	٩٩-٩٥	٢/ت	١٠٩	٥/ت	١٠٠
٦/ت	٦٣	٥/٢	٢٥	٣/٥	٧٣	٢/ت	١٠٩	٣/ت	٢٢	٥/٩	١٠٧-١٠٦	١٢/٣	٤٧	٥/٩	١١٤
٦/ت	٦٥	١/٨	٨٤-٨٣	١/٩	٧٦	١٠/٥	٩٤	٥/٢	٣٦	٥/٨	١٢٥	١٠/٥	٩٤	٥/٩	١١٧
٥/ت	٧١	١/٨	٩٧-٩٤	١٣/٥	٨٣	٣/ت	١٠١	٥/٩	١١٧	٥/ت	١٤٠-١٣٦	٦/ت	١٠٥	٦/ت	١٤٢-١٤١
٥/ت	٧٣	٤/٣	٦	٥/٩	٨٨	٦/١٠	١٠٧	١/٩	١٠٩	٣/٦	١٤٥	١/٢	٢	٥/ت	١٤٨
		٦/١٠	١٥	٥/٩	٩٥-٩٤	١/٩	١٠٩	١/٢	٢	٥/٩	١٦-١٥	٥/٩	١٦-١٥	٢/ت	٢٨
٧/٥	١٣	١/٤,٤/ت	٥٠	٥/٩	٩٩-٩٧	١١/٣,٦/ت	٤	١١/٣,٦/ت	٤	٢/١	٣١	٢/١	٣١	١/٦	٣١
٤/٥	١٤-١٣	٦/ت	٥٤-٥٣	٤/٨	٩-٨	٣/٥,١/١	٨	٤/ت	١١	٢/١	٣٤	٣/٧	٣٢-٣١	٥/ت	٣٣
٦/٣	١٧	٥/ت	٨٩-٨٨	٦/ت	١١/١٠	٤/ت	١١	٧/٣	١٣-١٢	١/١٠	٣٩-٣٨	١/١٠	٥٣-٥٢	١/١٠	٥٣-٥٢
٨/٣,١/١	١٨	٥/٩	١١٤	٦/ت	١٤-١٣	٢/٢	٤٩	٢/٢	١٥	١/ت	٤٣-٤٢	٢/٣	٥٤	٤/١٠	٥٦
٤/٤	٢١	٢/٢	١	٥/٣	١٥	٥/ت	٥٧-٥٦	١/٨	١٧	٥/٩	٤٩	٦/ت	٥٨	٦/ت	٥٨
١٣/٥	٤١	٤/ت	١٦	١/٩	٣٦	٤/٤	٦٦	٦/٩	٣٠	٢/٣	٦٧	٥/ت	٧١	٥/ت	٧١
١/ت	٦٨	١/ت	٢٢	٢/٢	٤٩	٤/٦,٣/٤	٦٩-٦٨	٥/٩	٣٨-٣٧	٢/ت	٧٨	١٠/٦	٨١-٨٠	١٠/٦	٨١-٨٠
١/ت	٨٠	١/ت	٢٤	١/٩	٣٦	٩/٦	٧٢	٥/٩	٤٠	١/ت	١٠٦	٥/ت	١٤٩-١٤٨	١/ت	١٠٨
١/ت	١١٥	٨/٣,٣/٢	٣٠	٢/٢	٤٩	١٢/٥	٧٨	١/٣	٤١	١/ت	١٠٨	٦/٩	١٥٨-١٥٧	٦/٩	١٥٨-١٥٧
١/ت	١١٧	٥/٣	٣١	٥/ت	٥٧-٥٦	٣/٦	١١٥	٢/ت	١٠	٥/٩	١٠٩	٢/٥	١٧٢	٢/٥	١٧٢
٩/٦	٢	٦/٣	٣٢	٤/٤	٦٦	٢/٣,٦/ت	١٢	٢/ت	١٠	١/ت	١٠٩	٢/ت	١٧٣	٢/ت	١٧٣
٩/٦	٣١-٣٠	٢/٣	٣٣	٤/٦,٣/٤	٦٩-٦٨	٩/٦	٣٢	٢/ت	١٠	١/ت	١٠٨	١/ت	١٨٥	١/ت	١٨٥
٩/٦	٣١	٦/١٠	٤٠	٩/٦	٧٢	٥/ت	٤٠	٢/ت	٢١	١/ت	١٠٨	٦/١٠	١٨٧	٦/١٠	١٨٧
٩/٦	٣٢	١/٣	٤٤	١٢/٥	٧٨	١/ت	٤٠	١/ت	٢٧-٢٤	٥/٩	١٠٩	٥/٩	١٨٨	٥/٩	١٨٨
٧/٣	٤٣	٢/ت	٥٤-٥١	٣/٦	١١٥	١/٣	٤١	١/ت	٢٧-٢٤	٢/ت	٦٢	٩/٦	١٨٩	٩/٦	١٨٩
١/٤,٨/٣	٤٥	٣/ت	٧٩	٢/٣,٦/ت	١٢	١/٣	٤١	١/٣	٤١	٢/ت	٦٢	٩/٦	١٨٩	٩/٦	١٨٩
١/١,٤/ت	٢	٦/١٠,٣/٢	١٠٤	٩/٦	٣٢	١/ت	٤٢-٤١	٢/ت	١٠	١/٣	٤١	٩/٦	١٨٩	٩/٦	١٨٩
٥/ت	٣	١/ت	٣	٥/ت	٤٠	٢/٢,٤/ت	٤٤	٢/ت	١٠	١/٣	٤١	٩/٦	١٨٩	٩/٦	١٨٩
١/ت	٣٣	١/ت	٣	١/ت	٤٢-٤١	٢/٢,٤/ت	٤٤	٢/ت	١٠	١/٣	٤١	٩/٦	١٨٩	٩/٦	١٨٩
١/ت	٤٤-٤٣	١/٥,١١/٣	٥	١/ت	٤٢-٤١	٢/٢,٤/ت	٤٤	٢/ت	١٠	١/٣	٤١	٩/٦	١٨٩	٩/٦	١٨٩
٤/ت	٤٦-٤٥	٤/٥,٣		١/ت	٤٢-٤١	٢/٢,٤/ت	٤٤	٢/ت	١٠	١/٣	٤١	٩/٦	١٨٩	٩/٦	١٨٩
٨/٣	٥٣	١/ت	٨	١/ت	٤٢-٤١	٢/٢,٤/ت	٤٤	٢/ت	١٠	١/٣	٤١	٩/٦	١٨٩	٩/٦	١٨٩
٥/ت	٥٥	٥/ت	١٣-١٢	١/ت	٤٢-٤١	٢/٢,٤/ت	٤٤	٢/ت	١٠	١/٣	٤١	٩/٦	١٨٩	٩/٦	١٨٩
٧/٢,٦/٢	٦١	١/ت	٤٦	١/١٠	٨٨	١/١٠	٨٨	١/١٠	٩	١/١٠	٩	١/١٠	٩	١/١٠	٩
٦/ت	٦٢	٤/٢	٤٧	٧/٩	٩	٧/٩	٩	٧/٩	٩	٧/٩	٩	٧/٩	٩	٧/٩	٩
٩/٦	٦٨	٣/ت	٥٤	٧/٩	١١	٧/٩	١١	٧/٩	١١	٧/٩	١١	٧/٩	١١	٧/٩	١١

[illegible]

(٢) كشف الأحاديث النبوية

الحديث	رقم الموضوع	الحديث	رقم الموضوع
اتقوا الذر فإن فيه النسمة	١/٧	أن رجلا من بنى فزارة	١/٥
اتقوا اللاعنين	٦/٧	إن الشمس والقمر لا يخسفان	٥/ت
اتقوا الملاعن الثلاث	٦/٧	إن الله أنزل الداء والدواء	٢/٧
أتى رجل رسول الله ﷺ ثائر الرأس	٣/٧	إن من أشرار الساعة أن يرفع العلم	٥/١٠
إذا أتى أحدكم أهله	٣/٧	إن هذا الطاعون رجز على من كان قبلكم	٥/٧
إذا أتى الرجل الرجل	١٠/٦	إن اليهود كانت إذا حاضت المرأة	٧/٦
إذا أتيت مضجعتك	٣/٧	إن يهوديا أمر برسول الله ﷺ	١/٥
إذا استيقظ أحدكم من نومه	١/٧	إنه ﷺ دعا بوضوء فتمضمض	٣/٧
إذا تغوط أحدكم فليمسح	٣/٧	أيما امرئ شرب مسكرا	٦/٦
إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماء	٣/٧	أيما امرأة شهدت بخورا	٩/٦
إذا توضأ العبد المسلم	٣/٧	بعث رسول الله ﷺ إلى أبي بن كعب	٢/٧
إذا توضأت فمضمض	٣/٧	تزوجوا الودود الولود	٩/٦
إذا رأيت الحفاة العراة	٥/١٠	ثلاثة حق على الله عونهم	٩/٦
إذا سمعتم به بأرض	٥/٧	حق الله على كل مسلم	١٣/٧
إذا وقع الذباب في إناء أحدكم	٨/٧	خالفوا المشركين وفروا للحى	٧٥٣/٧
أسبغ الوضوء وخلل	٣/٧	خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر	ز٣/
أصل كل داء البردة	١/٦	خمس من الفطرة	٣/٧
أكثر الناس شيعا	١/٦	دخل رسول الله ﷺ على مريض	٢/٧
أكل ﷺ كتف شاة	١/٧	دخل عليه ﷺ رجل ثائر الرأس أشعث	٣/٧
إلا أن الذكاة في الحلق واللبة	٣/٦	الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة	٣/٧
أما والله إنى لأخشاكم لله	٩/٦	سألت السيدة عائشة رضى الله عنها عن	
أمرنا رسول الله ﷺ أن نوكىء	١/٧	حد الإسراف	٩/٦
إن أخوف ما أخاف على أمتى	١٠/٦	سجد وجهى للذى خلقه	١٢/٥
إن أمتى يدعون يوم القيامة غرا	٣/٧	السواك مطهرة للفم	ز٣/٧
إن بين يدى الساعة تسليم الخاصة	٥/١٠	سئل النبي ﷺ عن الجنب	٣/٧
أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: أخى يشتكى	٤/٦	شفاء أمتى فى ثلاث	٤/٦

سورة	رقم	الآية	سورة	رقم	الآية
الإنسان	٢	١/٥	الفجر	٥	١/ت
المرسلات	٢٧	٩/٣، ٥/٣	الشمس	٤-١	٢/٣
النبأ	٧-٦	٥/٣	الليل	١	٢/٣
١٦-٦	٦/ت	٤/٥	التين	٥-٤	٦/ت
١٢	٦/٣	٤/٣	العلق	٥-١	٣/ت
١٣	٦/٢	٥-١	الزلزلة	٢-١	٤/٣
النازعات	٢٨-٢٧	٦/٣	المسد	٥-١	٢/١٠
٣٠	٢/٣				
٣١-٣٠	٨/٣، ١/٣				
٤٤-٤٢	٦/١٠				
عيس	١١-١	٥/٩			
٣٢-٢٤	٦/ت				
التكوير	١	٦/٣			
٢-١	٦/١٠				
١١	٦/١٠				
١٦-١٥	٨/٢				
الانفطار	١	٦/٣			
٢-١	٦/١٠				
٣	٦/١٠				
الانشقاق	١	٦/١٠، ٦/٣			
البروج	١	٢/٢			
١٣	٢/١				
الطارق	٤	١١/٥			
٧-٥	٢/٥				
١١	٦/٣				
١٢	٥/٣				
الأعلى	٣-٢	١/٤، ٤/ت			
٧-٦	٥/٩				
١٧	٦/٣				

الحديث	رقم الموضوع	الحديث	رقم الموضوع
صنفان من أمتي من أهل النار	٥/١٠	لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم	٥/١٠
صنفان من أهل النار لم أرهما	٩/٦	لا صلاة لمن لا وضوء له	٣/٧
طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه	٧/٧	لا عدوى ولا صفر ولا هامة	١/٧
الطهور شطر الإيمان	٣/٧	لا عدوى ولا طيرة	١/٧
عليكم بالبان البقر	٤/٤	لا يبولن أحدكم في الماء الراكد	٦/٧
عن عائشة قالت تعلم نساء المسلمين	٣/٧	لا يغتسلن أحدكم في الماء الدائم	٦/٧
عن عائشة قالت للنبي ﷺ : الطعن	٥/٧	لا يقبل الله صلاة إلا بطهور	٣/٧
عائشة قالت : يا رسول الله فما الطاعون؟	٥/٧	لا يقبل الله صلاة من امرأة خرجت	٩/٦
غسل يوم الجمعة واجب	١٣/٧	لا يورد ممرض على مصح	١/٧
غطوا الإناء وأوكتوا السقاء	١/٧	لعن الله في الخمر عشرا	٦/٦
فر من المجدوم كما تفر من الأبد	٥/٧	اللهم رب السماوات السبع	٢/٢
قص الظفر واحلق العانة	١٣/٧	لولا أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك	٣/٧
قلت يا رسول الله ﷺ إن لي جمعة	٣/٧	ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد	٥/١٠
كان ﷺ إذا أراد أن ينام	٣/٧	ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل	٩/٦
كان إذا قام بالليل يشوص	٣/٧	ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء	٢/٧
كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يأكل	١/٧	ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه	٣/٦
كان رسول الله ﷺ يغتسل	١٣/٧	ما خلق الله من داء إلا جعل له شفاء	٢/٧
كان لا يرقد من ليل ولانهار	٣/٧	ما رأيت رسول الله ﷺ خرج من غائط قط	٣/٧
كان النبي ﷺ إذا تبرز لحاجته	٣/٧	ما رئي رسول الله ﷺ يأكل متكئا	١/٦
كان يصلي بالليل ركعتين ركعتين	٣/٧	ما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه	١/٦
كل شراب أسكر فهو حرام	٦/٦	ما من كل الماء يكون الولد	٣/٥
كل مخمر خمر	٦/٦	مرض رجل على عهد رسول الله ﷺ	٢/٧
كل مسكر حرام	٦/٦	مضمضوا من اللبن فإن له دسما	٣/٧
كنت أصنع لرسول الله ﷺ	١/٧	مفتاح الصلاة الطهور	٣/٧
لا تأكل متكئا	١/٦	من أتى الجمعة فليغتسل	١٣/٧
لا تأتوا النساء في أعجازهن	٧/٦	من بات وفي يده ريح غمر	١/٧
لا تلب في الماء الراكد	٦/٧	من توضأ فأحسن الوضوء	٣/٧
لا تزال طائفة من أمتي على الحق	٥/١٠	من سقاه الله لبنا	٥/٤
لا تشربوا كنفس واحد	١/٦	من شرب الخمر	٦/٦

الحديث	رقم الموضوع
من علامات اقتراب الساعة	٥/١٠
من كان له شعر فليكرمه	٣/٧
من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط	١٠/٦
المؤمن يأكل في معي واحد	١/٦
نحن قوم لاناكل حتى نجوع	١/٦
نهى الرسول ﷺ عن الشرب في القدرح	١/٧
المشروخة	
وَقَتَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ	٣/٧
يا أبا هريرة قلتم أظافرك	٣/٧
يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض	٩/٦
يا أم حبيبة إذا أنت فعلت فلا تنهكي	٣/٧
يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة	٩/٦

(٣) كشاف اللغة للمصطلحات القرآنية

اللفظ	رقم الموضوع	اللفظ	رقم الموضوع
أَجِج: أجاج	٨/٣	رَتَق: رَتَقَا	٣/٢
أَلَف: يؤلف	٧/٣	رَجَع: الرَّجْع	٦/٣
بَرَج: بروج	٢/٢	رَسِي: رواسي	٥/٣
بَرَد: برَد	٧/٣	رَكَم: رُكَمَا	٧/٣
بَرَزَخ: برزخ	٨/٣	زَوْج: زوج، زوجان	٤/١
بَسَط: يَبْسُطُه	٧/٣	زُود: ازدادوا	٥/٢
بَضَع: يَضَع	٣/١٠	سَبَح: يُسَبِّحُونَ	٢/٢
بَن: بَنَان	٩/٥	سَرَج: سِرَاج	٦/٢
تَرَب: ترائب	٢/٥	سَرَد: سَرَد	١/٨
ثَرِي: الثَّري	٤/٣	سَكَّر: سَكَّرَتْ	٥/٨
ثَقُل: أثقالها	٤/٣	سَلَخ: نَسَلَخ	٢/٣
ثَوْر: تُثِير	١/٣	شَفَع: الشَّفَع	٥/١
جَرِي: تجري	٦/٢	شَقَق: انشَقَّت	٦/١٠, ٦/٣
جَلِي: جلَّأها	٢/٣	صَدَع: الصَّدَع	٥/٣
جَمَد: جامدة	٢/٣	صَلَب: الصَّلَب	٢/٥
حَجَر: حَجَرٌ مَحْجُور	٨/٣	ضَوء: ضِيَاء	٦/٢
حَرَج: حَرَجَا	٥/٨	طَبَق: طَبَاقَا	٦/٣
حَسَب: حُسْبَان	١/١	طَرَق: طَرَأَتْ	٦/٣
حَسَر: حَسِير	٣/١	طَوِي: نَطَوَى	٣/٢
خَسَأ: خَاسَأَا	٣/١	عَرَج: يَعْرَج	٥/٨
خَلَق: مُخَلِّقَة	٤/٥	عَلَق: عَلَقَ، عَلَقَة	٤/٥
دَحَا: دَحَاها	٢/٣ و ١/٣	غَشِي: يَغْشِي	٢/٣
رَبَو: رَيْت	١١/٣	فَتَق: فَتَقْنَاهُمَا	٣/٢

اللفظ	رقم الموضوع	اللفظ	رقم الموضوع
فَرث: فَرَثَ	٥/٤	نَقَص: نَنْقُصُهَا	١/٣
فَرَج: فُرُوج	٦/٣	نُور: نُور	٧/٢, ٦/٢
فَطَرَ: انْفَطَرَتْ	٦/١٠	وَتَد: أَوْتَاد	٥/٣
فَطَرَ: فُطُور	٦/١	وَتَر: الوَتَر	٥/١
فَلَك: فَلَكَ	٣/١	وَدَق: الودَق	٧/٣
فَوَتْ: تَفَاوَتْ	٣/١	وَزَن: موزون - الميزان	١/١
قَدَر: قَدَّر - تقديرا	١/٨, ١/١	وَسَع: مَوْسِعُونَ	٢/٣
قَرَر: قَرَار	٧/٥	وَقَعَ: مَوَاقِع	٢/٢
قَطَرَ: قَطَر	١/٨	وَلَج: يُولِج	٣/٣
قَطَرَ: أَقْطَار	٥/٨	وَهَج: وَهَاجَ	٦/٢
كَدَر: انْكَدَرَتْ	٦/١٠	وَهَن: وَهَنَ	٥/٦
كَرِه: كَرِهَا	٥/٦		
كَشَط: كَشَطَتْ	٦/٣		
كُور: يَكُورُ	٢/٣, ١/٣		
كُور: كُورَتْ	٦/١٠		
لَقَح: لَوَاقِح	٧/٣		
مَحَو: مَحَوْنَا	٢/٣		
مَرَج: مَرَجَ	٨/٣		
مَشَج: أَمْشَاج	١/٥		
مَضَغ: مُضَغَة	٤/٥		
مَكَن: مَكِين	٧/٥		
مِيد: تَمِيد	٥/٣		
نَع: يَنْابِيع	٨/٣		
نَشَر: انْتَشَرَتْ	٦/١٠		
نَزَلَ: مَنَازِل	٧/٢		
نَطَف: نَطَفَة	٣/٥		

فهرس الموضوعات

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
الآثار ، فى دراسة التاريخ	١٢٥	الاستنجااء	١١١
الانزان	٣١	الأسنان ، نظافتها	١١٣
الأجسام المضادة :		الإشارات العلمية العامة	٣١، ٢٦
فى المناعة	٩٠	الأظافر ، تقليمها	١١٢
فى الذباب	١١٦	الاعتدال فى الطعام	٩٣
الأحجار الكريمة :		الإعجاز البيانى القرآنى	١٤٣
فى الماء العذب والملح	٧١	الإعجاز العددى للقرآن	١٤٣
الأرض :		الإقناع العقلى فى القرآن	١١
باطنها	٥٧	الأناجيل :	
الجبال ودورها فى استقرارها	٥٨	تحريفها	١٢٧
حركتها :		نبوءة محمد ﷺ فيها	١٣٥
حول نفسها	٥٢	انتصار الدعوة	١٤٤
حول الشمس	٥٦	الأنعام ، منبع اللبن فيها	٧٧
دحوها	٥١	الأنف ، نظافته	١١١
شكلها	٥١	الأنهار ، نبوعها من الجبال	٧٠
الاستحاضة ، وتشريع العدة	١٠٢	أهل الكهف :	
الاستحمام	١٠٩	تقليبهم أثناء النوم	١٠٤
الاستنثار	١١١	مدة نومهم	٤٥

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
موضع الكهف	١٤٠	تغطية الطعام	١٠٨
الإيدز	١٠٥	تقليم الأظافر	١١٢
باطن الأرض	٥٧	التقويم :	
البحر :		الشمسى والقمرى	٤٥
عدم امتزاجه بالماء العذب	٦٨	فى قصة أهل الكهف	٤٥
اللؤلؤ منه	٧١	تلوث البيئة	١٤٦
موجه	٧٠	التوراة :	
البرد	٦٦	تحريفها	١٢٧
البرص ، معجزة شفائه	١٠٦	نبوءة محمد ﷺ بها	١٣٥
البصمات	٨٩	الجازبية	٣٩
البلهارسيا	١١٥	الجبال :	
البيان القرآنى ، إعجازه	١٤٣	أنواعها	٥٩
البيئة ، فسادها بفعل البشر	١٤٦	دورها فى تثبيت القشرة الأرضية	٥٨
التاريخ الطبيعى	١٢٦	الرسوبية	٥٩
التحرر الفكرى فى الإسلام	١٥	النارية	٥٩
تحريم بعض اللحوم	٩٥	نبوع الأنهار منها	٧٠
التذكية فى ذبح الحيوان	٩٦	الجدام	١١٥
التربة الزراعية :		الجلد ، مراكز الاحساس فيه	٨٩
تنوعها	٧٢	جنس المولود	٨٣
فضل الارتفاع	٧٣	الجنين :	
تطابق الخلق	٣٦	أغلفته	٨٧

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
اكتمال تشكيله	٨٦	أنواع	٧٥
تطوره	٨٤	التخاطب بينه	٧٥
جنسه	٨٣	تذكيته	٩٦
قراره المكين	٨٧	ذبحه	٩٦
الجوامد ، زوجيتها	٣٦	مجتمعات	٧٥
الجيولوجيا	٥٧	الختان	١١٣
الحبوب ، حفظها على السنابل	٧٣	الخلايا :	
الحجر الصحي	١١٥	دورتها	٣٤
الحديد :		مخلقة وغير مخلقة	٨٦
استخلاصه	١١٩	الخمر ، مضارها	١٠٠
تنوع خواصه	١٢٠	الدواء	١٠٨
دوره في عمارة الأرض	١٢٠	دورات الحياة	٣٣
سبائكه	١٢٠	دورة الخلايا الحية	٣٤
حركة الأرض	٥٦، ٥٢	دورة الطاقة	٣٥
الحفريات في دراسة التاريخ		دورة الكربون	٣٥
الطبيعي	١٢٦	دورة النتروجين	٣٥
حفظ الرسالة	١٤١	ديدان الأرض ، دورها في التربة	٧٢
الحقائق التاريخية في القرآن	١٢٥	الذباب ، ونقل المرض	١١٦
الحيض ، تحريم الجماع فيه	١٠١	الذبح ، حكمة الأسلوب الإسلامي	٩٦
الحيوان :		الرائحة ، بصمة للإنسان	٩٠
أزواج	٧٨		

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
الرضاعة الطبيعية :		سبائك الحديد	١٢٠
أهميتها للطفل وللأم	٩٨	السحاب :	
دورها في تنظيم الحمل	٩٨	البرد منه	٦٦
الرقيم في قصة أهل الكهف	١٤٠	تأليفه	٦٥
الروح	٨٨	دور الرياح في إثارته	٦٤
الروم ، نبوءة انتصارهم	١٤٥	تلقيحه بالرياح	٦٤
الرياح :		الركامي	٦٥
لتكوين السحاب	٦٤	الطبقى	٦٥
لواقح للسحاب	٦٤	نشأته	٦٣
الزراعة :		نوعاه	٦٥
تغيرات التربة بالرى	٧٢	السفن	١٢٢
حفظ الحبوب على السنابل	٧٣	السماء :	
ديدان الأرض فيها	٧٢	ذات الرجع	٦٢
الزمن ، نسبته	٤٤	السقف المحفوظ	٦٢
الزنا ، والأمراض التناسلية	١٠٢	طبقات	٦٠
الزواج ، الترغيب فيه	١٠٤	السمع :	
زوجية الجوامد	٣٦	تعطيله في نوم أهل الكهف	١٤٠
زوجية الكائنات الحية	٧٨	تقديمه على البصر	٩١
الساعة :		مداه	٩١
استحالة التنبؤ بها	١٥٠	سنن الفطرة	١١٢
علاماتها	١٤٧	سنى يوسف	٧٣

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
السواك	١١٣	الطعام :	
الشجر الأخضر، علاقته بالوقود	١٢١	الاعتدال فيه	٩٣
الشذوذ الجنسي	١٠٥	السنة في تناوله	٩٣
الشهر :		الطفيليات	١١٥
إزالته	١١٢	الطوب، من الطين	١٢١
العناية به	١١٢	الظلمات الثلاث ، للأجنة	٨٧
شكل الأرض	٥١	العدد ، في الإعجاز القرآني	١٤٣
الشمس :		العدة ، حكمة تشريعها في	
حركاتها في الفضاء	٤٧	الطلاق	١٠٢
طبيعتها	٤٦	العدوى :	
الشهب والنيازك	٤٩	الحجر الصحي	١٠٧
الصحة العامة	١٠٧	دورها في المرض	١٠٧
الصلاة	١١٤	عمل النحل :	
الصلب والترائب	٨٢	تنوعه	٧٧
الصوت ، شدته المحتملة	٩١	فوائده الطبية	٩٧
الصوم :		كمظهر	٩٧
حكمة توقيته	٩٤	مكوناته	٩٧
علاج	٩٤	علامات الساعة	١٤٧
فوائده	٩٤	العلاقة	٨٤
الطاعون	١١٥	العلم والعلماء في الإسلام	١٨
الطاقة ، دورتها	٣٥	عيسى عليه السلام، ماقتلوه	
		وماصلبوه	١٣٠

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
غزو الفضاء :		القوانين والسنن الكونية	٣١
أخطاره	١٢٤	القيامة « انظر : الساعة » :	
العروج فيه	١٢٤ (هامش)	استحالة التنبؤ بها	١٥٠
الغسل	١٠٩	علاماتها الصغرى والكبرى	١٤٧، ١٤٩
غسل اليدين	١١٠	مشاهدها	١٤٩
الغلاف الجوي :		الكائنات الحية :	
سقف محفوظ	٦٢	زوجيتها	٧٨
طبقاته	٦٠	الماء أساسها	٧٦
الفرس ، نبوءة هزيمتهم	١٤٥	الكربون ، دورته	٣٥
فرعون موسى	١٢٦	الكروموسومات :	
الفضاء :		لتحديد جنس الجنين	٨١، ٨٣
أخطار الصعود فيه	١٢٤	في الوراثة	٨١، ٨٣
أعراض الصعود فيه	١٢٣	الكلاب ، والصحة العامة	١١٦
غزوه	١٢٣	الكواكب :	
القرآن ، إعجاز بيانه	١٤٣	أقمارها	٤٩
القرار المكين ، للجنين	٨٨	الحياة عليها	٤١
قص الشارب	١١٢	طول أيامها	٤٤
القمر :		الكون :	
أقمار الكون	٤٩	أبعاده	٣٩
أوضاعه	٤٨	اتساعه المستمر	٤٤
طبيعته	٤٨	تجاذب أجرامه	٣٩

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
تطوره	٤٢	عذوبته بأمر الله	٦٩	مواد البناء	١٢١	الصفات المتنحية	٨٢
تماسكه	٣٩	كله من المطر	٦٧	المياه الجوفية	٦٧	العوامل الوراثية	٨١
وضع الأرض فيه	٤١	الملح والعذب ، لا يختلطان	٦٨	النبات ، زوجيته	٧٩	وسائل الانتقال	١٢٢
اللبن :		محمد ﷺ :		نبذ الخرافة في الإسلام	٢١	الوضوء	١١٠
غذاء كامل	٧٨	الخطاب القرآني إليه	١٣١	النبوءات التاريخية	١٤١	الوقود، مصدره من النبات الأخضر	١٢١
لبن الأم	٩٨	نبوءة رسالته في التوراة والإنجيل	١٣٥	النتروجين ، دورته	٣٥		
مصدره في الأنعام	٧٧	مرض الكلب	١١٦	النجوم	١٤٩، ٣٩		
لبن الأم :		مستقبل الإعجاز	١٤١	النحل :			
تطور تركيبه	٩٨	مشاهد القيامة	١٤٩	دأبه ونظامه	٧٧		
فوائده	٩٨	المضغة	٨٦	العسل منه	٧٧		
اللحوم المحرمة :		المضمضة	١١٣	لغته	٧٧		
حكمة تحريمها	٩٥	المطر :		نسبية الزمن	٤٤		
الدم	٩٥	تكوينه	٦٣	النفطة	٨٣		
لحم الخنزير	٩٥	مصدر كل المياه	٦٧	النظافة	١٠٩		
الميتة	٩٥	منايع اللبن في الأنعام	٧٧	نظافة الفم والأسنان	١١٣		
اللواط	١٠٥	المناعة	٩٠	النمل :			
للؤلؤ ، في المياه العذبة والبحار	٧١	المنهج التاريخي	١٢٥	حضرته	٧٦		
الماء :		النسي :		لغته	٧٦		
أساس الحياة	٦٦	تحديده لجنس الجنين	٨٣	نوم أهل الكهف	١٠٤، ٤٥		
بقاؤه بقدرة الله	٦٨	مصدره في التشريح	٨٢	الوراثة :			
دورته	٦٩	النفطة منه	٨٣	دور الكروموسومات فيها	٨١		

المراجع

أولاً: مراجع التحقيق

- ١ - لسان العرب لابن منظور - دار المعارف - (يشار إليه : اللسان) .
- ٢ - الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري - تحقيق عبد السلام هارون وأحمد عبد الغفور عطار - دار المعارف .
- ٣ - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - (يشار إليه : الوسيط) .
- ٤ - المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- ٥ - معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - ط ٣ - ١٩٩٠ .
- ٦ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث - ١٩٨٧ .
- ٧ - المنتخب فى تفسير القرآن الكريم - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ط ١١ - ١٩٨٥ - (يشار إليه : المنتخب) .
- ٨ - صفوة التفاسير - محمد على الصابوني - دار القرآن الكريم ببيروت - ١٩٨١ (يشار إليه : الصفوة) .
- ٩ - فى ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق - ١٩٧٧ - (يشار إليه : الظلال) .
- ١٠ - المصحف المفسر - محمد فريد وجدى - دار الشعب - (يشار إليه : المفسر) .
- ١١ - مختصر تفسير ابن كثير - محمد على الصابوني - دار القرآن الكريم ببيروت - ١٩٨١ .

ثانياً: مصادر الموضوعات:

- ١ - أبو بكر الجزائري « عقيدة المؤمن » - دار الكتب السلفية .
- ٢ - أحمد الحوفى « معانى السماء والأرض فى القرآن » - مؤسسة الخليج العربى بالقاهرة - ١٩٨٧ .

أحمد ديدات «هل الكتاب المقدس كلام الله»

أ - ترجمة إبراهيم خليل أحمد - دار المنار - ١٩٨٩ .

ب - ترجمة نورة أحمد النومان - المختار الإسلامى .

أحمد ديدات «أيهما كلام الله؟ القرآن الكريم أم الكتاب المقدس» - ترجمة

محمد مختار - المختار الإسلامى - ١٩٩٤ .

أحمد ديدات «القرآن الكريم والكتاب المقدس تحت المجهر» - ترجمة محمد

مختار - المختار الإسلامى - ١٩٩٣ .

أحمد ديدات «الخمر بين المسيحية والإسلام» - ترجمة محمد مختار - المختار

الإسلامى - ١٩٩١ .

أحمد ديدات «ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ» - ترجمة إبراهيم

خليل أحمد - دار المنار - ١٩٨٩ .

أحمد ديدات «محمد ﷺ الخليفة الطبيعى للمسيح» - ترجمة رمضان

الصفناوى - المختار الإسلامى - ١٩٩١ .

٩ - أحمد ديدات «القرآن معجزة المعجزات» :

أ - ترجمة نبيل عبد السلام هارون - مكتبة القرآن - ١٩٩٢ .

ب - ترجمة - المختار الإسلامى - ١٩٩٢ .

١٠ - أحمد ديدات «المسيح فى الإسلام» :

أ - ترجمة على الجوهري - دار الفضيلة - ١٩٩٠ .

ب - ترجمة محمد مختار - المختار الإسلامى - ١٩٩٠ .

١١ - أحمد ديدات، بعنوان :

أ - «مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء» - ترجمة على الجوهري - دار

الفضيلة - ١٩٨٩ .

ب - «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم» - ترجمة رمضان الصفناوى -

المختار الإسلامى - ١٩٩١ .

١٢ - أحمد شلبى «مقارنة الأديان» - (١) اليهودية، (٢) المسيحية - النهضة

المصرية ط ٩ - ١٩٩٠ .

١٣ - أحمد طاهر «الأنجيل - دراسة مقارنة» - دار المعارف - ١٩٩١ .

١٤ - أحمد طه «الطب الإسلامى» - دار الاعتصام .

١٥ - بديع الزمان سعيد النورسى «إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز» - ١٩٧٤ .

١٦ - توفيق علوان «معجزة الصلاة فى الوقاية من مرض دوالى الساقين» - دار الوفاء

- ١٩٨٨ .

١٧ - جمال الدين حسين مهران «آيات من الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم» -

الأنجلو المصرية - ١٩٩٢ .

١٨ - حسن عز الدين الجمل «الحمل والروح فى القرآن» .

١٩ - حسين نصار - «الإنباء بالغيب فى الإعجاز القرآنى» - الهيئة العامة للكتاب -

١٩٩٤ .

٢٠ - رشدى فكار «لمحات عن منهجية الحوار والتحدى الإعجازى للإسلام فى هذا

العصر» - مكتبة وهبة - ١٩٨٢ .

٢١ - سليمان عمر قوش «الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها فى القرآن والدين» -

الحرمين بقطر - ١٩٨٧ .

٢٢ - سليمان عمر قوش «حكمة وأسباب تحريم لحم الخنزير فى العلم الكريم» - المختار

الإسلامى .

٢٣ - السيد الجميل «الإعجاز الطبى فى القرآن» - دار التراث العربى - ١٩٨٠ .

٢٤ - السيد الجميل «الإعجاز العلمى فى القرآن» - دار الفكر اللبنانى .

٢٥ - السيد الجميل «الإعجاز الفكرى فى القرآن» - ابن زيدون ببيروت .

٢٦ - السيد الجميل «الإعجاز الكونى فى القرآن» - دار زاهد القدسى - ١٩٨٨ .

٢٧ - السيد سابق «فقه السنة» - دار الفكر ببيروت - ١٩٧٨ .

٢٨ - شارل جنبير «المسيحية نشأتها وتطورها» ترجمة عبد الحليم محمود - دار

- ٤٢- عبد العليم عبد الرحمن خضر «الإنسان في الكون بين القرآن والعلم» - عالم المعرفة - ١٩٨٣ .
- ٤٣- عبد العليم عبد الرحمن خضر «الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم» - الدار السعودية - ١٩٨٦ .
- ٤٤- عبد العليم عبد الرحمن خضر «الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن» - الدار السعودية ط ٣ - ١٩٨٧ .
- ٤٥- عبد العليم عبد الرحمن خضر «الماء والحياة بين العلم والقرآن» - الدار السعودية - ١٩٨٥ .
- ٤٦- عبد العليم عبد الرحمن خضر «المنهج الإيماني للدراسات الكونية» - الدار السعودية - ١٩٨٧ .
- ٤٧- عبد الغنى محمد بركة «الإعجاز العلمي، وجوه وأسواره» - مكتبة وهبة - ١٩٨٩ .
- ٤٨- عبد الله شحاتة «تفسير الآيات الكونية» - دار الاعتصام - ١٩٨٠ .
- ٤٩- عبد المجيد الزنداني وآخرون «الإيمان» - دار القلم بدمشق ط ٣ - ١٩٨٤ .
- ٥٠- عبد المجيد الزنداني «آيات الله في الآفاق» إعداد محمد إبراهيم سليم - مكتبة القرآن - ١٩٩٣ .
- ٥١- عبد المجيد الزنداني «الإسلام أو الضياع» - إعداد محمد إبراهيم سليم - مكتبة القرآن - ١٩٩٣ .
- ٥٢- عبد المجيد الزنداني «يا أبناء الإسلام دينكم دين الحق وكل آية في القرآن إعجاز» - إعداد محمد إبراهيم سليم - دار القرآن - ١٩٩٣ .
- ٥٣- عبد المجيد الزنداني «أنه الحق» - شريط فيديو - هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .
- ٥٤- عبد المحسن صالح «من كل شيء موزون» - دار عكاظ - ١٩٨٤ .
- ٥٥- عبد المحسن صالح «ومن كل شيء خلقنا زوجين» - دار عكاظ - ١٩٨٤ .

- المعارف - ١٩٨٥ .
- ٢- شافع توفيق محمود «صور من عقائد أهل الأرض» - المركز العربي للنشر والتوزيع - ١٩٨٥ .
- ٣- شهاب الدين أحمد بن إدريس الخرافي «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة» تحقيق مجدى محمد الشهاوى - مكتبة القرآن - ١٩٩٢ .
- ٣- صدقى البيك «معجزة القرآن العديدة» - مؤسسة علوم القرآن - ١٩٨١ .
- ٣- طاهر توفيق «القرآن والإعجاز في خلق الإنسان» - دار النصر - ١٩٨٨ .
- ٣- عادل طه يونس «حياة الأنبياء بين حقائق التاريخ والمكتشفات الأثرية الجديدة» - مكتبة القرآن - ١٩٩٠ .
- ٣- عبد الحلیم كامل «وفى أنفسكم أفلا تبصرون: هذا خلق الله» - دار المريخ بالرياض - ١٩٨٤ .
- ٣٥- عبد الحميد عبد العزيز «الطب والإسلام، ج ١-٣» - أخبار اليوم - ١٩٨٨ ، ١٩٨٩ ، ١٩٩٠ .
- ٣٦- عبد الحميد عبد العزيز «الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم، تأملات طبية حول ١٠ آيات قرآنية» - ابن سينا - ١٩٩٢ .
- ٣٧- عبد الحميد محمود طهماز «المعجزة والإعجاز فى سورة النمل» - المنارة ببيروت - ١٩٨٧ .
- ٣٨- عبد الرحمن دمشقية «الكتاب المقدس يتكلم» (مترجم) - دار المنارة - ١٩٩٤ .
- ٣٩- عبد السلام محمد هارون «الألف المختارة من صحيح البخارى» - دار الجيل - ١٩٩١ .
- ٤٠- عبد العال الحماصى «القرآن معجزة كل العصور، وموضوعات أخرى» - دار المعارف - ١٩٨٧ .
- ٤١- عبد العزيز سيد الأهل «من إشارات العلوم فى القرآن الكريم» - النهضة الحديثة بيروت .

- عبد المنعم محمد خلاف «العقل المؤمن - أو الدين عن طريق الفكر» - دار
للكتاب العربى - ١٩٥١.
- عبد المنعم السيد العشرى «تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم» - الهيئة
العامة للكتاب - ١٩٨٥.
- عبد الوهاب خلاف «علم أصول الفقه» - الدار الكويتية - ط ١٠ - ١٩٨٤.
- فتحى رضوان «الإسلام ومشكلات الفكر» - دار المعارف - ١٩٧٣.
- كارم السيد غنيم - «الإشارات العلمية فى القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق»
- دار الفكر العربى - ١٩٩٤.
- مازن فروخ «الإسلام والعلم» - دار الرشاد الإسلامية - ١٩٨٧.
- مجد متبولى غريب «إشارات هندسية فى القرآن الكريم» - دار المجد للدراسات
الهندسية - ١٩٩١.
- محمد أبو زهرة «المعجزة الكبرى القرآن» - دار الفكر العربى - ١٩٧٠.
- محمد أحمد الغمراوى «الإسلام فى عصر العلم» - دار الإنسان ط ٤ -
١٩٩١.
- محمد جلال كشك «خواطر مسلم حول: الجهاد، الأناجيل، الأقليات» - دار
ثابت ط ٢ - ١٩٨٥.
- محمد جمال الدين الفندى «الإسلام وقوانين الوجود» - الهيئة المصرية العامة
للكتاب - ١٩٨٢.
- محمد جمال الدين الفندى «الإسلام والكون» ج ١ - الشرق الأوسط -
١٩٩٠.
- محمد جمال الدين الفندى «قصة السموات والأرض» - كتاب الشعب -
١٩٦٨.
- محمد حسن الحمصى «النحلة تسبح الله» - دار الرشيد ط ٩ - ١٩٨٩.
- محمد رشاد الطوبى «وبث فيها من كل دابة» - دار المعارف - ١٩٨٨.
- محمد رشاد الطوبى «...» - دار المعارف - ١٩٨٥.

- ٧٢- محمد رشاد الطوبى «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» - دار المعارف - ١٩٨٥.
- ٧٣- محمد سعدى المقدم «شواهد العلم فى هدى القرآن» - ١٩٥٠.
- ٧٤- محمد سعيد رمضان البوطى «كبرى اليقينيّات الكونية» - دار الفكر ط ٨ -
١٩٨٦.
- ٧٥- محمد سويد «الإسلام ودعوة الحق» - رابطة العالم الإسلامى - ١٩٨٧.
- ٧٦- محمد السيد أرتاؤوط «الإعجاز العلمى فى القرآن» - مكتبة مدبولى -
١٩٨٩.
- ٧٧- محمد السيد الداودى «معجزة الأرقام فى القرآن الكريم» - دار الكتاب المصرى
- ١٩٨٦.
- ٧٨- محمد الصرايرة «آيات للموقنين» - مكتبة المنار - ١٩٨٥.
- ٧٩- محمد عادل أبو الخير «اجتهادات فى التفسير العلمى فى القرآن الكريم» -
مطبعة أبو الخير - ١٩٨٨.
- ٨٠- محمد عبد الرزاق نوفل «الله والعلم الحديث» - دار الشروق - ١٩٩٠.
- ٨١- محمد عبد الرزاق نوفل «القرآن والعلم الحديث» - دار الشعب ط ٦ -
١٩٨٢.
- ٨٢- محمد عبد الرزاق نوفل «معجزة الأرقام والترقيم فى القرآن».
- ٨٣- محمد عبد القادر الفقى «الإعجاز العلمى للقرآن الكريم فى علم المعادن» -
بحث مقدم إلى دار المجد للدراسات الهندسية.
- ٨٤- محمد عبد القادر الفقى «القرآن الكريم وتلوث البيئة» - مكتبة المنار الإسلامية
- ١٩٨٥.
- ٨٥- محمد عبد المنعم خفاجى «القرآن معجزة كل العصور» - الهيئة العامة
للكتاب - ١٩٨٨.
- ٨٦- محمد عثمان الخشت «لماذا أسلمت» - مكتبة القرآن - ١٩٨٦.
- ٨٧- محمد عزت الطهطاوى «محمد نبي الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن» -

- محمد عفيفي الشيخ «القرآن الكريم وعلوم الغلام الجوى» - الشرق الأوسط.
- محمد على البار «خلق الإنسان بين الطب والقرآن» - الدار السعودية.
- محمد على البار «الخير بين الطب والفقه» - الدار السعودية.
- محمد على البار «العدوى بين الطب وحديث المصطفى ﷺ» - الدار السعودية - ١٩٨١.
- محمد على النبى «نحل العسل فى القرآن والطب» - الأهرام - ١٩٨٧.
- محمد الغزالي «الطريق من هنا» - دار البشير - ١٩٨٧.
- محمد فؤاد شاکر «من إعجاز السنة المشرفة» - دار النيل للطباعة - ١٩٩٥.
- محمد كامل عبد الصمد «الإعجاز العلمى فى الإسلام: ج ١ القرآن الكريم، ج ٢ السنة النبوية» - الدار المصرية اللبنانية - ١٩٩٠.
- محمد كمال عبد العزيز «إعجاز القرآن فى حواس الإنسان» - مكتبة القرآن - ١٩٨٧.
- محمد كمال عبد العزيز «إعجاز القرآن فى خلق الإنسان» - ابن سينا - ١٩٩٠.
- محمد كمال عبد العزيز «لماذا حرم الله هذه الأشياء؟ لحم الخنزير - الميتة - الدم، نظرة طبية فى محرمات القرآن» - مكتبة القرآن - ١٩٨٧.
- محمد متولى الشعراوى «معجزة القرآن» - أخبار اليوم - ١٩٧٧.
- ١- محمد محمود إسماعيل «الإشارات العلمية فى الآيات الكونية فى القرآن الكريم» - دار الدعوة بالإسكندرية - ١٩٩٠.
- ١٠- محمد وصفى «المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام» - دار الفضيلة - ١٩٩٢.
- ١٠- محمود دياب «الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم» - دار الشعب «عربى/ إنجليزية» - ١٩٨٨.

- ١٠٣- مصطفى حسين «مع القرآن فى الكون إعجاز أم هداية» - مطبعة حسين بالأردن - ١٩٨٧.
- ١٠٤- مصطفى الصاوى الجوينى «جماليات المضمون والشكل فى الإعجاز القرآنى» - منشأة المعارف - ١٩٨٣.
- ١٠٥- مصطفى محمود «حوار مع صديقى الملحد» - روز اليوسف - ١٩٧٤.
- ١٠٦- مصطفى الدباغ «وجوه الإعجاز القرآنى» - مكتبة المنار بالأردن - ١٩٨٥.
- ١٠٧- ممدوح جاد «المسيح فى الإنجيل بشر» - المطبعة الفنية - ١٩٩٣.
- ١٠٨- منصور محمد حسب النبى «القرآن الكريم والعلم الحديث» - الهيئة العامة للكتاب «عربى/ إنجليزية» - ١٩٨٩ / ١٩٩٠.
- ١٠٩- منظمة الصحة العالمية «أحكام الذبح والذبائح» - ١٩٨٨.
- ١١٠- منظمة الصحة العالمية «الماء والإصحاح فى الإسلام» - ١٩٨٨.
- ١١١- منظمة الصحة العالمية «دور الدين والأخلاق فى منع ومكافحة الإيدز» - ١٩٩٢.
- ١١٢- مورييس بوكاى «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة» - دار المعارف - ١٩٨٢.
- ١١٣- مورييس بوكاى «القرآن والعلم الحديث» ترجمة نبيل عبد السلام هارون - دار الطلائع - ١٩٩٣.
- ١١٤- موسى الخطيب «من دلائل الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة النبوية» - مؤسسة الخليج العربى - ١٩٩٤.
- ١١٥- نادى محمد عثمان «إعجاز القرآن الكريم فى علمى الأجنة والأطفال» - كلية البنات الإسلامية - ١٩٨٧.
- ١١٦- نبيل عبد السلام هارون «كشاف الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة» - ابن سينا - ١٩٩١.
- ١١٧- نبيل عبد السلام هارون «ماهو بقول بشر» - ابن سينا - ١٩٩١.

133- "Guinness Encyclopedia", Guinness, 1990

134- "It is about time (Alcoholism)", Forbes, July 27, 1987.

135- "Lactation education for health professionals", Rosalia Rodriguez-Garcia, Pan American Health Organization, 1990.

136- "Natural family planning - Current knowledge and new strategies for the 1990s - Proceedings of a conference", American Journal of Gynecology and Obstetrics, 1991.

137- "An advanced Quranic metal-matrix composite", M. Gouda, Al-Azhar Engineering 3rd International Conference, Dec. 18-21, 1993.

ببيل عبد السلام هارون « لا إله إلا الله محمد رسول الله - الشهادتان في راية والإنجيل والقرآن » - دار الطلائع - ١٩٩٣ .

مظمى خليل أبو العطا « إعجاز النبات في القرآن الكريم » - مكتبة النور - ١٩٩٠ .

نعمت صدقي « معجزة القرآن » - دار الاعتصام - ١٩٧١ .

هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة « تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن السنة » - ١٩٨٧ .

هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة « أبحاث في العدوى والطب الوقائي من المؤتمر العالمي الأول للإعجاز ، ١٨-٢١ أكتوبر ١٩٨٧ » .

وحيد الدين خان « الإسلام يتحدى » - دار البحوث العلمية بالكويت - ١٩٩٧ .

يحيى محمد على ربيع « الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف » - دار الوفاء - ١٩٩٤ .

يحيى ناصر خواجي وأحمد أبو الوفا « الإعجاز العلمي للقرآن الكريم » - جامعة الملك فيصل .

اليونيسيف، منظمة الأمم المتحدة للطفولة « عوامل الثقافة الاجتماعية المؤثرة في انتشار أمراض الإسهال بالمناطق الريفية في صعيد مصر » - ١٩٩١ .

مع أجنبية :

127- "Breastfeeding for Child survival strategy"; USAID, 1990.

128- "Breastfeeding, weaning and nutrition, the behavioural issues", Ann Brownlee, USAID, 1990.

129- "Echos of the big-bang", Time Magazine, May 4, 1992.

130- "Encyclopedia Americana", Grolier Inc., 1992

131- "Encyclopedia Britannica".

132- "Golden age of cosmology", Scientific American, July 19

المحتويات

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
إهداء :	٥	الفصل الثالث : فى الأرض	
تقديم - د. صلاح الصاوى	٦	١/٣ شكل الأرض	٥١
مقدمة الطبعة الثانية	٨	٢/٣ حركة الأرض حول نفسها	٥٢
تمهيد : المنهج العلمى والعقلى		٣/٣ حركة الأرض حول الشمس	٥٦
ت/١ الإقناع العقلى	١١	٤/٣ باطن الأرض	٥٧
ت/٢ تحرير العقل	١٥	٥/٣ الجبال	٥٨
ت/٣ مكانة العلم والعلماء	١٨	٦/٣ سماء الأرض	٦٠
ت/٤ السنن العلمية والكونية	١٩	٧/٣ السحاب والمطر	٦٣
ت/٥ نبذ الخرافة	٢١	٨/٣ الماء	٦٦
ت/٦ الإشارات العلمية	٢٦	٩/٣ الأنهار	٧٠
ت/٧ بين يدى الكتاب	٣٠	١٠/٣ البحار	٧٠
الفصل الأول : إشارات علمية عامة		١١/٣ الزراعة	٧٢
١/١ قوانين الوجود	٣١	الفصل الرابع : فى الكائنات الحية	
٢/١ دورات الحياة	٣٣	١/٤ عالم الحيوان	٧٥
٣/١ تطابق الخلق	٣٦	٢/٤ النمل	٧٦
٤/١ الزوجية العامة	٣٦	٣/٤ النحل	٧٧
الفصل الثانى : فى الكون		٤/٤ منابع اللبن	٧٧
١/٢ تماسك الكون	٣٩	٥/٤ زوجية الأحياء	٧٨
٢/٢ أبعاد الكون	٣٩	الفصل الخامس : فى خلق الإنسان	
٣/٢ تطور الكون	٤٢	١/٥ الوراثة	٨١
٤/٢ نسبية الزمن	٤٤	٢/٥ المنى	٨٢
٥/٢ التقويم	٤٥	٣/٥ جنس الجنين	٨٣
٦/٢ الشمس	٤٦	٤/٥ تطور الجنين	٨٤
٧/٢ القمر	٤٨	٥/٥ الأغشية الثلاث	٨٧
٨/٢ الشهب	٤٩	٦/٥ الروح	٨٨

ع	صفحة	الموضوع	صفحة
القرار المكين	٨٨	الفصل الثامن: في المعارف الهندسية	
الجلد	٨٩	١/٨ الحديد	١١٩
البصمات	٨٩	٢/٨ مواد البناء	١٢١
١ الرائحة	٩٠	٣/٨ الوقود	١٢١
١١ المناعة	٩٠	٤/٨ وسائل الانتقال	١٢٢
١٢ السمع	٩١	٥/٨ رحلات الفضاء	١٢٣
١٣ شدة الصوت	٩١	الفصل التاسع: في حقائق التاريخ	
سجل السادس: في الطب البشري		١/٩ المنهج التاريخي	١٢٥
١ الطعام	٩٣	٢/٩ التاريخ الطبيعي	١٢٦
٢ الصيام	٩٤	٣/٩ فرعون موسى	١٢٦
٣ اللحوم	٩٥	٤/٩ التوراة والإنجيل	١٢٧
٤ العسل	٩٧	٥/٩ محمد في الخطاب القرآني	١٣١
٥ الرضاع	٩٨	٦/٩ محمد بشارة موسى وعيسى	١٣٥
٦/ الخمر	١٠٠	٧/٩ أهل الكهف	١٤٠
٧/ الحيض	١٠١	الفصل العاشر: في نبوءات التاريخ	
٨/ العدة	١٠٢	١/١٠ إعجاز القرآن وحفظه	١٤١
٩/ الزنا	١٠٢	٢/١٠ انتصار الدعوة	١٤٤
١٠/ اللواط	١٠٥	٣/١٠ هزيمة الفرس	١٤٥
١١/ البرص	١٠٦	٤/١٠ فساد البيئة	١٤٦
فصل السابع: في الصحة العامة		٥/١٠ علامات الساعة	١٤٧
١/ العدوى	١٠٧	٦/١٠ مشاهد القيامة	١٤٩
٢/١ الدواء	١٠٨	الفهارس التحليلية	
٣/١ النظافة	١٠٩	١- الآيات القرآنية	١٥٣
٤/١ الصلاة	١١٤	٢- الأحاديث النبوية	١٥٩
٥/١ الحجر الصحي	١١٥	٣- اللغة - المصطلحات القرآنية	١٦٢
٦/١ الطفيليات	١١٥	٤- رؤوس الموضوعات التفصيلية	١٦٤
٧/١ مرض الكلب	١١٦	المراجع	١٧٣